يوسف هريمة

ولادة المسيح

وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي

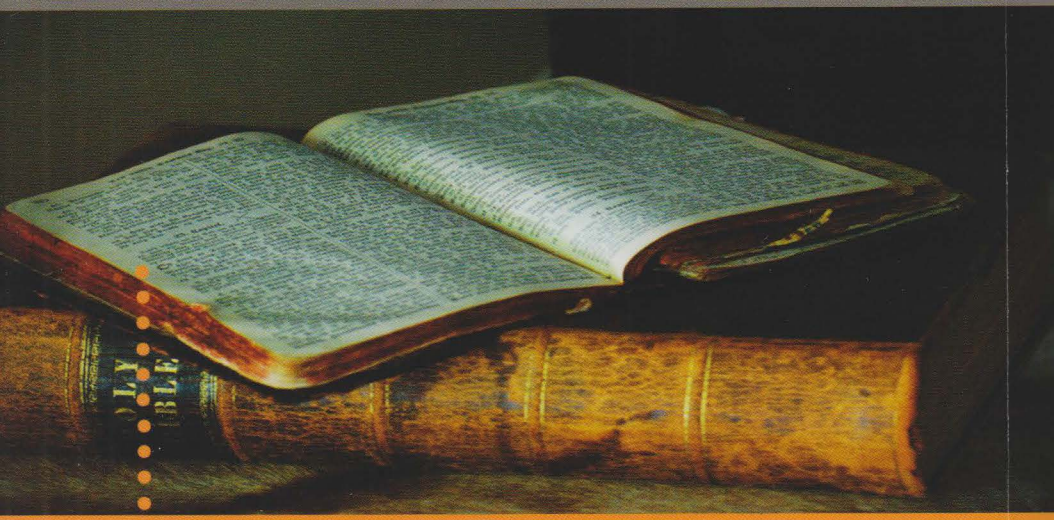

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

مكتبة مؤمن قريش

المركز الثقافي العربي

يوسف هريمة

ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي

يوسف هريمة

ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي

دراسة تحليلية مقارنة من خلال الكتاب المقدس

المركز الثقافي العربي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders

الكتاب: **ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي**
تأليف: **يوسف هريمة**
الطبعة الأولى، 2014
عدد الصفحات: 208
القياس: 14 × 21

ISBN: 978-9953-68-669-1

الناشر: **المركز الثقافي العربي**

الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا) - 42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 303339 522 212+ - 307651 522 212+
فاكس: 305726 522 212+
Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان
ص.ب: 5158/ 113 - الحمراء - شارع جاندارك - بناية المقدسي
هاتف: 750507 1 961+ - 352826 1 961+
فاكس: 343701 1 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود
مؤسسة دراسات وأبحاث
www.mominoun.com

الرباط المدينة - ص.ب: 10596 - المملكة المغربية
هاتف: 730450 537 212+ - فاكس: 730408 537 212+
Email: info@mominoun.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات يتبنّاها المركز الثقافي العربي ومؤسسة مؤمنون بلا حدود.

الفهرس

إهداء 7

مقدمة 9

الفصل الأول: البدايات الأولى من حياة مريم 21

المبحث الأول: لمحة عن الكتاب المقدس 23

المبحث الثاني: الوسط العائلي في الأناجيل القانونية 32

المبحث الثالث: الوسط العائلي في الأناجيل الأبوكريفية 40

المبحث الرابع: الإسلام وبدايات مريم 65

الفصل الثاني: اتهام مريم 75

المبحث الأول: اتهام مريم من خلال الأناجيل القانونية 77

المبحث الثاني: اتهام مريم من خلال الأناجيل الأبوكريفية 83

المبحث الثالث: القرآن الكريم وقضية اتهام مريم 106

المبحث الرابع: الكلام في المهد بين الأناجيل والقرآن الكريم .. 108

الفصل الثالث: سلسلة الأنساب وقصة الولادة 121

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية 123

المبحث الثاني: سلسلة الأنساب في الأناجيل 127
المبحث الثالث: تناقضات النسب 138
المبحث الرابع: القرآن الكريم والنسب 142

الفصل الرابع: قصة الولادة والنبوءات التوراتية 145
المبحث الأول: فكرة المسيح المنتظر وقصة الولادة 147
المبحث الثاني: المسيح في الإسلام 164
المبحث الثالث: لادة المسيح والاقتباسات التوراتية 175

خاتمة 201
المصادر والمراجع 204

إهداء

إلى كل من أسهم من قريب أو من بعيد في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود. خصوصاً الإخوة في منبر مؤمنون بلا حدود وعلى رأسهم الأخ العزيز محمد العاني.

كما الشكر موصول إلى أستاذي مصطفى بوهندي الذي أشرف على البحث، وأسهم في بنائه بتوجيهاته وتعليماته.

ولا ننسى من صبر على رحلة البحث ومشاقه والداي، وزوجتي وابنتي.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتبر قصة ولادة المسيح من المواضيع التي أسالت مداد الكثير من الباحثين حولها، على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، لما لهذه القصة من أثر عميق في توجيه الفكر الديني عموماً، والمسيحي منه على وجه الخصوص. وهذا التباين في وجهات النظر المختلفة حول كل مجريات ومستلزمات هذه القصة، كان راجعاً بالأساس إلى إشكالية تعدد المصادر التي استقى منها الفكر المسيحي تصوراته وبنائه العقدي والفكري، الشيء الذي يعتبر ضرورياً من الناحية المنهجية ونحن نتناول قضية لها وزنها في الفكر الديني عموماً. ولها أيضاً تبعات خطيرة تتجاوز في مداها البعد الديني إلى آفاق السياسة والاجتماع، وغير ذلك من المجالات.

إن الذين اعتنقوا المسيحية وبشروا بها في كتاباتهم كانوا من أصول وثقافات متعددة. وكل واحد منهم يحمل في طياته أفكاراً وتصورات تنبئ عن المرجعيات المتعددة التي ينطلق منها كل واحد، وتبرز التثاقف الحاصل بين الأديان والحضارات والعقائد. فلوقا مثلاً وهو من الكتاب الذين سجلوا قصة الطفولة رأى أن يؤلف كتاباً يسجل فيه هذه الأمور مثله مثل غيره، وإن كان يزعم أن تأليفه أكثر مصداقية،

لأنه أخذ مادته من الذين كانوا معاينين وخداماً للدعوة، أي إنه استقى معلوماته من أتباع المسيح وتلاميذه.

كانت سيرة المسيح سيرة شفهية يتناقلها المسيحيون جيلاً بعد جيل، ولم تكن هناك سيرة مدونة ومتفق عليها. وكانت فكرة الانتظار هاجساً تؤرق الفكر المسيحي كما أرقت اليهودي من قبله. فصارت أفكار العودة والخلاص وإقامة المملكة الداودية على الأرض، تخيم على عقلية المسيحي وتغنيه عن أي نص مكتوب. وبمرور الزمان ابتدأ الستار ينزاح من وراء هذا الاعتقاد، فاضطر الكثير من الناس لتدوين أناجيل المسيح وسيرته كما تعلموهما من المسيحيين الأوائل، وقام كل واحد بوضع تصوره الخاص لسيرة المسيح طبقاً لثقافته، ووفقاً للمناخ الفكري والديني الذي نشأ فيه وتأثر به.

كان هذا التباين واضحاً في كتابات المبشرين، فمنهم من كان يهودياً يعتز بالعهد القديم وتعاليمه وعقائده وطقوسه وشرائعه، فجاء تأليفه طافحاً بالجانب الطقوسي العبادي المميز للديانة اليهودية، ومهموماً بالفكر المؤسس لها. ومنهم من كان متأثراً بالفكر الغنوصي أو الدوسيتي الذي كان يرى أن المادة شر، وأن هناك صراعاً بين النور والظلمة، فجاءت صورة المسيح في أناجيلهم تتطابق والعقائد والخلفيات التي ينطلق منها كل كاتب.

وقبل أن تكون قصة الولادة موضوعاً مرتبطاً بالمسيح فهي أشد ارتباطاً بأمه مريم، هذه الشخصية التي أهمل المسيحيون جوانب مهمة من حياتها، وغضوا الطرف عن كثير من الحقائق التاريخية المرتبطة بها، متوجهين إلى الجانب الطقوسي والعقائدي نحوها، لتصبح أم الإله، وسيدة الكنيسة، وعذراء الرب. بينما الأناجيل تكشف عن

حقائق خطيرة، اتجاه هذه المرأة سيكشف عنها البحث بالمقارنة والتحليل.

كانت هذه مقدمة نظرية ندخل من خلالها إلى أهمية الموضوع المطروح للنقاش:

أهمية الموضوع

إن أهمية الموضوع الذي نحن بصدد مقاربته الآن، تنبع من أهمية الكتب المقدسة نفسها. فلقد شكلت هذه الكتب والوثائق التاريخية على مر العصور إحدى المحددات الأساسية، والموجهات المركزية للعقل المتدين بشكل عام في كل زمان أو مكان. كما تنبع أهميته أيضاً من الواقع المعاصر بكل تشكيلاته وتعقيداته. فلا بد وأن العقائد والأفكار والتصورات التي تحتويها هذه الكتب، تتجاوز في امتداداتها صفحات هذه الكتب والوثائق. فالأفكار لا يمكن حصرها في دلالات الألفاظ، أو مشاهد وفصول كل أحداث التاريخ المروي داخل الكتب المقدسة، وإنما يتجاوز الأمر كل هذا في اتجاه التأثير والتأثر بشكل أو بآخر بالواقع الاجتماعي أو الفكري أو الثقافي.

وقصة ولادة المسيح بكل تشعباتها وامتداداتها الفكرية والعقدية، لا تخرج عن هذا الإطار المتحدث عنه سابقاً. فقد ظل تأثيرها يوحي إلى كل باحث أو مؤمن أو راغب في الاطلاع على مجريات هذه القصة، بأفكار لازمت الفكر الديني عموماً، وارتبطت به ارتباطاً وثيقاً لأنها وجدت فيه التربة الخصبة والمنبت الملائم لمثل هذه التصورات. وانطلاقاً من الأهمية القصوى التي تحتلها مثل هذه البحوث، وخطورة تجليات هذه المواضيع على الواقع الإنساني، كان العزم على اقتحام

هذا المجال المليء بالمجازفات المعرفية، والممتلئ بالصعوبات والعراقيل النابعة من طبيعة البحث في الكتب المقدسة نفسها.

يلفت انتباه الباحث وهو يقرأ التضمينات والشواهد التوراتية التي تمتلئ بها نصوص العهد الجديد، فيتساءل كل مرة عن دلالة تلك التضمينات وخلفياتها، ومدى ضرورتها للعقيدة المسيحية، بعد أن انتشرت بين الأمم التي لم تعرف التوراة. تحوَّل هذا الاهتمام إلى تساؤل ودافع إلى خوض غمار هذا البحث بكل تجاذباته وتقاطعاته، فبدأت بمدارسة هذه القصة من خلال الكتب المقدسة القانونية وغير القانونية. اطالعها مطالعة الدارس الرامي إلى فهم أمورها بعيداً عن النظرة المتحيزة في الدين، سالكاً بذلك مسلكاً يفهم الأمور بمنطق الكتاب نفسه، متسائلاً عن الروايات التي تثير التساؤل، ومحاولاً العثور على إجابة من خلال الاستقراء والمقارنة التي اعتمدناها أسلوباً خلال هذا البحث. كما كان لزاماً ونحن نتناول موضوعاً بحجم ما نحن بصدد مدارسته، أن أرجع إلى الكتب التي أعرضت عنها الكنيسة، وتشكل ثروة معرفية وعقائدية ووثائقية كبيرة، لها تأثيراتها سلباً أو إيجاباً على مجريات الأحداث. وكل ذلك من أجل الوصول إلى معرفة الجدلية القائمة بين اليهودية والمسيحية من خلال هذه القصة.

عندما نتحدث عن الشواهد التوراتية تقفز إلى الأذهان ظاهرة التنبُّؤ المعروفة لدى الشعب العبراني. وهي ظاهرة تحاول اختراق جدار الغيب لتطلع الناس على ما يأتي من أحداث، ويستقبلهم من أشياء يخفيها عنهم الغيب، وذلك باستعمال كلام فضفاض يسمح للقارئ أو للمستمع بإمكانية التفسير أو التأويل أو الإسقاط. ولو

تصفَّحنا النبوءات التوراتية لوجدنا فيها جميع الاحتمالات التي يمكن أن تؤول أو تفسر أو يمكن إسقاطها شاهداً على أيِّ حدث. ففيها التنبُّؤ بانتصار شعب إسرائيل وخضوع الأمم له، وفيها التنبُّؤ بالجوع والعطش، وفيها التنبُّؤ بالخير والبركة، علماً بأن مثل هذه الأحداث قد وقعت وتقع على الدوام لجميع شعوب الأرض. والإنسان الذي يحمل في ذهنه فكرة ردِّ المسيحية إلى التوراة سوف يجد في التوراة بعامة، وفي النبوءات بخاصة، كلَّ ما يسعى إليه من الشواهد لدعم وجهة نظره، إنْ سلباً أو إيجاباً.

إشكالية البحث

وانطلاقاً من هذه المعطيات التي كشفنا من خلالها أهمية البحث في هذه الجدلية القائمة بين المسيحية واليهودية، ومدى التفاعل المتواصل بين العهدين القديم والجديد كان البحث يستهدف الإجابة عن العديد من الإشكاليات التي تطرحها طبيعة البحث:

1- لم يكن الإنجيل الذي بين أيدينا هو كل ما كُتِبَ عن المسيح ونُقِلَ عنه. ففي عهود المسيحية الأولى، وبخاصة في القرنين الثاني والثالث، كان ثمة ما يربو على العشرين سِفراً مختلفاً متداوَلاً بين المسيحيين الأوائل، منها أناجيل وأسفار خاصة بأعمال الرسل والرسائل. فقد ظهر إنجيل العبرانيين بالآرامية، وإنجيل الأبيونيين (ويدعى إنجيل الرسل)، وإنجيل بطرس، وإنجيل نيقوذيموس، وإنجيل يعقوب، وإنجيل توما، وإنجيل الطفولة بالعربية، وسيرة يوسف النجار العربية، وأعمال بولس، وأعمال بطرس، ورؤى توما والعذراء، ورسائل الرسل باللغتين القبطية والحبشية، وغيرها كثير مما

كُتِبَ بحسن نية أو بسوئها. ولكن الكنيسة هي التي أقرَّت في وقت لاحق الإنجيل المتداول حالياً وحرَّمت كل ما عداه. فمصداقيَّتها الوحيدة هي أن الكنيسة قد أقرَّتها.

2- لم تكن رسالة المسيح واحدة، كما أن هدفها وتوجُّهها لم يكن واحداً. فكان البحث يهدف إلى الكشف عن المدى الذي أسهمت فيه الرؤية التبشيرية في ربط المسيحية بالتوراة، أي باليهودية، وهل كان هذا الربط مما أمْلتْه الظروف المرحلية، أم هو ربط أبدي وجزءٌ لا يتجزَّأ من العقيدة المسيحية في كلِّ زمان ومكان.

3- كتبة الأناجيل كانوا بشراً بالدرجة الأولى، يميِّزهم عن غيرهم إيمانهم بالرسالة وغيرتهم عليها واندفاعهم إلى نشرها؛ ولكنهم لم يكونوا معصومين عن النسيان أو الخلفيات الثقافية المتحيزة إلى إيديولوجية معينة. ولو كان الأمر غير ذلك، لجاءت الأناجيل متطابقة، أو على الأقل تحمل مضامين وأفكاراً تنحو إلى وجهة واحدة، من حيث الرواية أو الخبر. فقد كانت لكل منهم رؤيتُه الخاصة وإدراكه الخاص لظروف نشر الرسالة ومستلزمات هذه الظروف، ومن خلال اختلاف الرؤية، وقدرة الذاكرة، واختلاف منابت الموعوظين، وَقَعَ تباين في كتابة البشائر لا سبيل إلى إنكاره.

4- إن الاستشهادات والإشارات التوراتية التي وردت في الأناجيل تمثل بالنسبة إلى المسيحية إرثاً تاريخياً لا علاقة له بالعقيدة المسيحية. فهذا الإرث يمثل مرحلة معينة من تاريخ المسيحية، وهي مرحلة التبشير الأولى التي بدت فيها المسيحية لبعض الشعب اليهودي ملبِّية لتطلُّعاته الدنيوية. فالمسيحية، من وجهة النظر هذه، لم تكن تحقيقاً لأي نبوءات توراتية سابقة، كانت في مجملها تتعلق بخلاص

الشعب اليهودي من حكم الرومان على يد نبي من نسل داود، الأمر الذي لم يحدث في الواقع.

5- قانونية الأناجيل المعتبرة في قصة ولادة المسيح تعود إلى الجهة المقننة، أي إلى المجامع المسكونية التي ارتبط ظهورها بظروف امتزجت فيها المسيحية بالفكر الوثني للإمبراطورية الرومانية، فكانت هذه المجامع نقطة تحول في التاريخ الديني المسيحي. حسمت الكثير من الاختلافات، وتبنت كل ما يدعم توجهاتها من الكتاب المقدس وكتابات الآباء، واستبعدت كل ما يخالف ما استقرت عليه هذه المجامع. وعليه فإن قانونية هذه الأناجيل واعتبارها راجعَين إلى الجهة المقننة وهي المجامع المسكونية. فتم الإقرار بصحة الأناجيل المعتمدة حالياً، وتم تغييب كل ما عدا ذلك. غير أن أهم المآخذ التي تؤخذ على هذه الكتابات المخفية والتي تعتبر في نظر الكنيسة كافية في إسقاط الشرعية عليها مأخذان اثنان:

أ- غلبة الطابع الأسطوري عليها

ب- افتقادها للجانب التاريخي

والغريب في الأمر أن هاتين الحجتين اللتين تحتج بهما الكنيسة في رد هذه الكتابات أمر واقع حتى بالنسبة إلى الأناجيل المعتمدة. إضافة إلى أن الكنيسة رغم استبعادها لهذه الوثائق المهمة على المستوى النظري، فقد ظلت وفية لها على المستوى الواقعي، حيث كانت هذه الكتابات مصدراً مهماً لكثير من الطقوس والعبادات في التقليد الكنسي: كعيد دخول العذراء إلى الهيكل، وقيامة وصعود مريم ...إلخ.

6- في الحقيقة كلما سنتحدث عن علاقة القرآن بالكتب المقدسة ستقفز إلى الأذهان قضية الهيمنة القرآنية. فلقد ظلت الهيمنة القرآنية لعهود طويلة أسيرة رؤية دينية أسهمت في إنشائها ثقافة آمنت بنسخ القرآن لما قبله وإبطاله لجميع الأديان، فكانت الهيمنة في ذهنيتها ائتمان وشهادة وإبطال. . . فأغفلت بذلك جانباً مهماً من هذه الهيمنة يتمثل في كون القرآن يشكل مدرسة نقدية لها جانب خطير في نقد الفكر الديني عموماً، واليهودي والمسيحي منه على وجه الخصوص.

هل نقل القرآن قصة الولادة نفسها التي أضربت عن الكثير من تفاصيلها الأناجيل القانونية وغير القانونية، وصاغها من جديد بأسلوبه الخاص؟. وإذا كان قد نقلها فهل ساير القرآن الكريم هذه الأطروحات المخالفة لمبادئه وتوجهاته؟. وهل كتب الإسلام الخلود لمثل هذه الأساطير كما يقول بعضهم؟.

كل هذه التساؤلات المشروعة في ميدان البحث العلمي تدفع بنا إلى محاولة الخروج بالقرآن من أسر ثقافة أثرية قيدته حتى جف معينه وانقضى عطاؤه. كما تخرج به من الإيمان السلبي، إلى طور **الاقتراح والتفعيل** في شتى المجالات، ولعل أهمها علم: **«مقارنة الأديان»**، الذي يمكن أن يسهِم في كشف الغامض، وإماطة اللثام على كثير من الإشكالات التي تحول دون بلوغ أمل التواصل الذي يحقق الرقي الحضاري عن طريق الإبداع العلمي والمعرفي. ولمعالجة مثل هذه الإشكاليات والتساؤلات التي تعترض البحث في هذا الموضوع المتشعب اعتمدنا المقاربة الآتية:

***- خطة البحث**

تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول يحتوي كل فصل على مباحث فرعية فجاء:

الفصل الأول: يتناول البدايات الأولى من حياة مريم.

عالجنا في مبحثه الأول ورقة موجزة عن الكتاب المقدس بشقيه العهد الجديد والقديم، والقانوني منه وغير القانوني. وارتأينا أن مثل هذا المدخل لمحل البحث يعطي انطباعاً أولياً بأساسيات هذا البحث. فالكتاب المقدس اكتسب قداسته من خلال ما يحويه من مفاهيم وتصورات وتاريخ، أطرت الفكر الديني لمن يعتنق المسيحية أو اليهودية. بل امتد هذا التأثير ليصل بمداه إلى خارج النسق الديني اليهودي المسيحي ليعانق من قريب أو من بعيد ثقافة الإسلام.

والمبحث الثاني: تتبعنا فيه الوسط العائلي للسيدة مريم في كل الأناجيل القانونية المعتبرة، وغير المعتبرة، لنكتشف غموضاً واضحاً يصل إلى حد الإبهام في تناول شخصية لها وزنها في الفكر الديني، وأنشئت حولها مذاهب وتوجهات فلسفية وفكرية، مشكلة حولها معالم شخصية قدسية امتدت آثارها إلى أنساق مختلفة من الفكر الديني.

الفصل الثاني: نتناول فيه أخطر قضية في قصة الولادة، والمتعلقة بموضوع الاتهام، تحدثنا من خلال مباحثه عن هذه القضية انطلاقاً من نصوص العهد الجديد، ومن النصوص الأبوكريفية لنكتشف وقوع هذا الاتهام الذي أراد إنجيل متى طمسه لحاجة في نفسه قضاها. كما وأشرنا إلى الدليل المنطقي الذي يمكنه أن يبرئ

امرأة في مثل هذه الواقعة، وهي الكلام في المهد الذي لم تشر إليه الأناجيل القانونية، ولا المنحولة بشيء سوى ما ورد في إنجيل الطفولة العربي.

الفصل الثالث: وخصصناه لقضية النسب الذي يعد أحد الأمور الخطيرة في قصة ولادة المسيح، تنبني عليه إشكاليات وقضايا يمكن أن يكون لها التأثير البالغ في مسار الفكر المسيحي اليهودي، المؤمن بالأساس بفكرة النسب المطروح ليسوع. هذه القضية التي أخذت أبعاداً ومسارات متباينة، واختلفت حولها آراء النقاد تأثيراً وتأثُّراً، نطرحها للنقاش من جديد عبر المصادر المعتمدة لدى الفكر المسيحي، وهدفنا أن نخرج من خلال هذه الدراسة بخلاصات حول ما تختزنه هذه القضية من تجاذبات وتقاطعات تلقي بظلالها على كل الأنساق الدينية التي تطرقت لولادة المسيح.

الفصل الرابع: سيكون خاتمة لما سبق ذكره من فصول ومباحث وسنكشف من خلاله عن مدى التأثير اليهودي المسيحي من خلال هذه القصة. وسنرى أن أحداث هذه القصة لم تكن بريئة بمعنى حياديتها وموضوعيتها. بل كانت في كل جزء من أحداثها، وكل تطور من قضاياها ومضامينها تطرح تصورات، وتهدف إلى أهداف ومعتقدات. وهذا ما سنكشف عنه من خلال المقارنة والتحليل. ولعل أهم معطى ترمي إليه هذه القصة بكل تفريعاتها وتشعباتها هي فكرة المسيح المنتظر.

ولم أكن أحاكم هذه النصوص بمنطق القرآن لكي لا أكون متحيزاً، بل بمنطق الكتاب المقدس نفسه. وظل القرآن في كل فصول ومباحث البحث يعطي موقفه من خلال منهجية اعتمدناها في تعاملنا

معه، ترمي بالأساس إلى سد الهوة السحيقة التي آلت إليها الدراسات القرآنية في تعاملها مع القرآن، بأصولها وقواعدها، التي أسقطت الكثير من المناهج التفسيرية في شرك الرؤية التوراتية الإنجيلية نفسها. فكانت هذه المدارسة تنبني على الإيمان بأن للقرآن وجهات نظر واقتراحات إنسانية تخرج به من إطار الإيمان السلبي إلى طور يكون فيه المؤمن مسهِماً بشكل أو بآخر في حلول القضايا الإنسانية، من دون وصاية على الناس، أو حجر لحقهم في التفكير، واختزال الحق في المذهب أو الطائفة أو الجماعة، وغير ذلك من بلايا الفكر الديني المتطرف، أو المحتكر للحق في أصوله وتخريجاته.

***- عوائق البحث**

ولم أدخر جهداً في تتبع ما كتب حول هذا الموضوع- من دراسات ومقالات أستعين بها على السير فيه على بصيرة من أمري- إلا ما عجزت عنه جهلاً أو تقصيراً، متبعاً في ذلك المنهج العلمي في التثبت من الأفكار ونسبتها إلى قائليها، وتوثيق النصوص.

وفي الختام فقد يكل الذهن ويزل القلم بما قد أكون تلبست به من أخطاء بسبب قصوري أو جهلي، فأسأل الله أن يجعل شفيعي سلامة النية وحسن القصد.

ولا تفوتني الفرصة أيضاً أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف على هذا البحث الدكتور مصطفى بوهندي الذي ساعدني على إتمام هذه الرسالة بتوجيهاته، ودعمه. ومد يد العون لإخراجه على هذا النحو. والسلام.

الفصل الأول

البدايات الأولى من حياة مريم

قبل أن نخوض غمار البحث في قصة ولادة المسيح، ومستلزماتها وما يتفرع عنها من قضايا وأفكار وعقائد. لا بد من الإشارة ولو بشكل موجز إلى محل البحث أو موضوع البحث وهو الكتب المقدسة بشكل عام والعهد الجديد بشكل خاص.

هذه النظرة لها أهميتها ونحن نتناول قضية محورية في الفكر الديني عموماً، والمسيحي منه على وجه الخصوص. فالكتاب المقدس اكتسب قداسته من خلال ما يحويه من مفاهيم وتصورات وتاريخ، أطرت الفكر الديني لمن يعتنق المسيحية أو اليهودية. بل امتد هذا التأثير ليصل بمداه إلى خارج النسق الديني اليهودي المسيحي ليعانق من قريب أو من بعيد ثقافة الإسلام. ولنبدأ بتعريف موجز للكتاب المقدس:

المبحث الأول
لمحة عن الكتاب المقدس

- العهد القديم (Ancien testament)

تعني كلمة العهد الميثاق، فهذه الأسفار جميعها تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس، جاء في سفر التثنية الإصحاح 12 الفقرة 32: «**كل**

الكلام الذي أوصيكم به احرصوا لتعملوه، لا تزد عليه ولا تنقص منه».

وجاء في إنجيل متى 5/ 18: «**فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل**».

ويتكون العهد القديم من مجموعة أسفار تضم مواضيع مختلفة وهي على الشكل الآتي:

***- أسفار موسى الخمسة**

- سفر التكوين: ويهتم بوصف الخليقة، وأصل العبرانيين (جماعة إسرائيل).

- سفر الخروج: ويروي تاريخ العبرانيين في مصر وخروجهم.

- سفر اللاويين: ويعالج واجبات الكهنة والطقوس الأخرى.

- سفر العدد: وفيه تعداد رؤساء الشعب وحاملي السلاح، وفيه أيضاً أخبار تذمُّر الشعب، والتجسس على أرض كنعان.

- سفر التثنية: أي تثنية الاشتراع أو إعادة الشريعة وتكرارها على جماعة إسرائيل.

***- أسفار الأنبياء**

هذا القسم يتضمن ما وقع للعبرانيين من أحداث بعد موت موسى حتى هدم الهيكل المقدَّس. وهو يغطي فترة زمنية تمتد بين سنة 1300 وسنة 200 ق.م تقريباً، وينقسم إلى قسمين:

أ - الأنبياء الأولون أو المتقدمون

وعدد أسفاره ستة:

- سفر يشوع: (يوشع بن نون) الذي يروي قصة احتلال جماعة يسرائيل أرض كنعان وتقسيم الأرض بين الأسباط أو القبائل العبرانية.

- وسفر القضاة: الذي يذكر أسماء القضاة وتاريخ جماعة يسرائيل في عهدهم وانتصارهم على الفلستيين.

- وسفرا صموئيل الأول والثاني: اللذان يعالجان تأسيس المملكة العبرانية المتحدة وقصة داود.

- وسفرا الملوك الأول والثاني: وهما يغطيان فترة حكم داود وسليمان وسقوط المملكة الشمالية ثم المملكة الجنوبية.

ب - الأنبياء المتأخرون

وهذا القسم يضم مجموعة من النبوءات والمواعظ والقصص، وعددها خمسة عشر سفراً منها:

- ثلاثة لأنبياء كبار (أشعياء، وإرميا، وحزقيال).

- واثنا عشر لأنبياء صغار (هوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوفديا، ويونس، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجاي، وزكريا، وملاخي).

*- كتب الحكمة والأناشيد

وهي مجموعة من الأسفار التي تضم مواد تاريخية وقصصية وغنائية وعددها أحد عشر، إذا اعتبرنا سفري عزرا ونحميا سفراً واحداً. وترتيب هذه الأسفار حسب ورودها في العهد القديم كما يلي:

- مزامير داود: ويُنسَب معظمها إلى داود، وهي أناشيد شكر للإله وتراتيل روحية.

- سفر الأمثال.

- سفر أيوب: ويحدثنا عن حياة أيوب الصالح (ويُعتقَد أن هذا السفر من أصل عربي، فأيوب من بني عيسو).

- نشيد الأنشاد: وهو من الأغاني الشعبية للأفراح والزفاف، ويُقال إنه نشيد غزل بين الإله وجماعة يسرائيل، ويُنسب إلى سليمان.

- راعوث: وهي قصة بطلة ترجع إلى عصر القضاة.

- مراثي إرميا: وهي قصائد بكاء على أورشليم (القدس) بعد تخريبها.

- سفر الجامعة: وهو خواطر فلسفية ذات طابع عدمي.

- سفر إستير: ويتحدث عن خلاص جماعة يسرائيل على يد إستير. ويحتفل اليهود بهذه المناسبة في عيد النصيب.

- سفر دانيال: ويحدثنا عن سيرة هذا النبي.

- سفر عزرا: ويتحدث عن عودة العبرانيين (أعضاء جماعة يسرائيل) إلى أورشليم (القدس)، وإعادة بناء الهيكل الثاني.

- سفر نحميا: وهو يعنى أيضاً بعودة اليهود من السبي البابلي.

- سفرا أخبار الأيام (الأول والثاني): وهما تلخيص للوقائع التاريخية الواردة في العهد القديم منذ بدء الخليقة حتى السبي البابلي[1].

---

(1) راجع حول هذه التقسيمات **الموسوعة اليهودية** لعبد الوهاب المسيري: www.4shared.com/zip.../_____.html

وراجع حولها كتاب: **إسرائيل التوراة التاريخ التضليل**، لسيد القمني، ص 19.

2- العهد الجديد (Nouveau testament)

وكلمة العهد الجديد عند النصارى، تحمل معنى إضافياً للبعد التوراتي المتعارف عليه في العهد القديم. فهو عهد مبني على سفك دم يسوع على الصليب فداء لخطيئة الإنسان. فقد جاء في إنجيل متى 28/ 26: «**لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا**». وفي إنجيل مرقس 14: 24: «**وقال لهم هذا هو الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين**».

ويتألف من:

*- **الأناجيل الأربعة**: كلمة الإنجيل كلمة يونانية الأصل عربت عن كلمة «إنجليون» وتعني من أتاك ببشرى، ثم امتد معناها ليشمل البشرى نفسها، وقد استعملها السيد المسيح عليه السلام بمعنى «بشرى خالصة»، فقال: «**الحق أقول لكم: حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها**» متى 26/ 13.

كما استعملها الرسل من بعده بهذا المعنى نفسه، فقال: «**الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه أيضاً: إذا آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس**» أفسس 1 / 13.

والأناجيل الأربعة هي: متى، مرقس، لوقا، ويوحنا.

*- **أعمال الرسل**: والتي كتبها لوقا وتحتوي خاصة على حياة معلمي المسيحية وخاصة بولس.

*- **الأسفار التعليمية**: وتشمل إحدى وعشرين رسالة منها 14 من كتابة بولس والتي وجه معظمها إلى عدد من الكنائس التي أنشأ معها بعض العلاقات، وهناك ثلاث رسائل تنسب إلى يوحنا،

ورسالتان من كتابة بطرس ورسالة واحدة لكل من يعقوب ويهوذا.

*- **رؤيا يوحنا**: وتنسب إلى يوحنا اللاهوتي، وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام رآها في اليقظة، وهي رؤيا في زمن اضطهاد عانت منها الجماعة المسيحية الأولى، لذا جاءت كتابته بأسلوب رمزي وفلسفي معقد مليء بالرموز والتشبيهات.

3- الأناجيل الأبوكريفية (Les apocryphes)

ارتبطت «قضية الأبوكريفا» في الدين المسيحي، ارتباطاً وثيقاً بالفترة التي عرفت منعطفاً خطيراً في التاريخ المسيحي. والمتمثلة في فترة ما بعد المجامع المسكونية. وهي الفترة ما بين سنة 325م و451م، التي كانت بمثابة تحول جذري في المسيحية تمخضت عن صراعات وخلافات في قضايا جوهرية في الدين. فكانت هذه المجامع محاولة جادة لحسم الصراع في كثير من المجادلات اللاهوتية من خلال صياغة دقيقة لقوانين الإيمان المسيحي في ضوء الكتاب المقدس.

إذاً فالمجامع المسكونية[1] التي لجأت إليها الكنيسة لحل النزاع في مختلف القضايا العالقة، مثلت بشكل أو بآخر أسلوباً ناجعاً لحل الاختلافات الجوهرية حول بعض التعاليم الدينية. وكان من نتائج هذه المجامع قانون الإيمان النيقوي (Nicene creed) وقانون الإيمان

---

(1) تعني الحركة المسكونية المشاريع والمبادرات تنبع وتنسق حسب حاجات الكنيسة المتعددة، ومقتضيات الأزمنة في سبيل تعزيز وحدة المسيحيين. انظر: **معجم المجمع الفاتيكاني الثاني**، ص 107-108، وضعه ونسقه عبده خليفة، الخوري فرنسيس البسري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1981.

الإثناسي (Athanasian creed)، وذلك في مجمع نيقية المنعقد في سنة 325م بدعوة من الإمبراطور قسطنطين.

ولعل أهم القضايا الخلافية التي أثير حولها الجدل وناقشتها المجامع هناك:

- البحث في طبيعة الله والعلاقات ما بين الأقانيم في الثالوث،
- البحث في طبيعة المسيح،
- البحث في طبيعة الإنسان وأسلوب نوال الإنسان للخلاص[1].

في ظل هذه الظروف التي امتزجت فيها المسيحية بالفكر الوثني للإمبراطورية الرومانية، كانت هذه المجامع نقطة تحول في التاريخ الديني المسيحي. فقد حسمت كثير من الاختلافات، وتبنت كل ما يدعم توجهاتها من الكتاب المقدس وكتابات الآباء، واستبعدت كل ما يخالف ما استقرت عليه هذه المجامع. وعليه، فإن قانونية هذه الأناجيل واعتبارها راجعين إلى الجهة المقننة وهي المجامع المسكونية. فتم الإقرار بصحة الأناجيل المعتمدة حالياً، وتم تغييب كل ما عدا ذلك. فبرزت قضية الأبوكريفا، فما هي دلالة هذا اللفظ؟.

* دلالة اللفظ (Apocryphe)

إن لفظ **Apocryphe** حسب المعاجم المسيحية يعني:

«الخفي، أو السري، أو الصعب الفهم. وهي مجموعة كتابات يهودية أو مسيحية غير قانونية وغير معتمدة استبعدتها الكنيسة، وشككت في مصداقيتها. ومن بين هذه الكتابات هناك إنجيل بيير

(1) راجع حول هذه المجامع كتاب **المسيحية عبر العصور**، لإيرل كيرنز، ص 151.

وطوماس، ورسالة برنابا وغيرها».

وهذه الأبوكريفات تستقي التقسيم نفسه الذي يسير عليه العهد الجديد. فهناك الإنجيل، وأعمال الرسل، والرؤى. كما وتستلهم موضوعاتها وأحداثها من العهد القديم أو الجديد، والتي لا وجود لها في الكتابات القانونية»[1].

غير أن أهم المآخذ التي تؤخذ على هذه الكتابات المخفية والتي تعتبر في نظر الكنيسة كافية في إسقاط الشرعية عليها مأخذان اثنان:

أ- غلبة الطابع الأسطوري عليها.

ب-افتقادها للجانب التاريخي.

والغريب في الأمر أن هاتين الحجتين اللتين تحتج بهما الكنيسة في رد هذه الكتابات أمر واقع حتى بالنسبة إلى الأناجيل المعتمدة. إضافة إلى أن الكنيسة رغم استبعادها لهذه الوثائق المهمة على المستوى النظري، فقد ظلت وفية لها على المستوى الواقعي، حيث كانت هذه الكتابات مصدراً مهماً لكثير من الطقوس والعبادات في التقليد الكنسي: كعيد دخول العذراء إلى الهيكل، وقيامة وصعود مريم، . . .إلخ.

بل تجاوز تأثير هذه الكتابات الكنيسة ليعانق الفنون الجميلة، وخاصة في العصور الوسطى وعصر النهضة: كالصباغة، والنحت . . .إلخ[2].

---

(1) *Dictionnaire culturel du christianisme*, p 32/33. *Dictionnaire de la bible*, p 68/69.

(2) انظر في هذا الصدد كتاب: - *Théorie des sources de Sarwat Anis*, p 70
- *La bible éclaircie et ses apocryphes*, p 459.

بعد هذه المقدمة التعريفية الموجزة لمحل اشتغالنا، وهو الكتاب المقدس بكل تقسيماته وتفريعاته القانونية منها وغير القانونية، نشرع الآن في معالجة ما يستلزمه موضوع البحث من قضايا وأفكار انبنت على ما سبق ذكره من أصول معرفية ومنهجية حملها الكتاب المقدس.

ولعل أهم قضية نطرحها للمناقشة والتحليل، هي الوسط العائلي للسيدة مريم أم المسيح. لما لهذا الوسط من أهمية في فهم طبيعة المجال الذي تحركت فيه هذه المرأة، وإدراك الأبعاد الخطيرة لتجاهل مثل هذا الوسط. كما أن حديثاً مثل هذا يكشف عن خيوط مستترة قد تصمت عنها الكتب المقدسة بتلاوينها المختلفة، ويعطي انطباعاً ولو بشكل غير واضح عن طبيعة هذا الكتمان أو ذلك الغموض، وكل هذا من خلال المقارنة والتحليل.

المبحث الثاني
الوسط العائلي في الأناجيل القانونية

كانت ولا تزال شخصية «مريم العذراء» مثار جدل كبير في الفكر الديني عموماً، والمسيحي منه على وجه الخصوص. فطبيعة هذه الشخصية طبيعة إشكالية في أبعادها ومراميها. فبين مقدس لها مؤسس لسلطتها على الفكر المسيحي، إلى منكر لحقيقتها، متجاوز كل المعطيات الدينية بشأنها، معتبراً كل ما حيك حولها مجرد أساطير لا أساس لها من الصحة أو الحق.

وبين هذا أو ذاك نقف وقفة تأمل في ما ورد بشأن هذه السيدة في الأناجيل المعتبرة والقانونية. وكل أملنا أن نعثر على صورة نستطيع أن نتلمس من خلالها واقع امرأة تربعت ولا تزال على كرسي القدسية المزعومة لدى الكنيسة، بينما تستبطن لها الأناجيل كيلاً من التهم، لعل أهمها الاتهام بجريمة الزنا من خلال ولادتها المعجزة حسب النصوص الدينية المختلفة.

وليس الهدف هنا أن ننتصر إلى رأي معين، أو نتحيز إلى جهة ما. ولكن بغيتنا أن نجيب عن تساؤل قد أثارته طبيعة هذه المرأة وهو: ما هو الموقف الصريح للأناجيل المعتبرة من سيدة الكنيسة؟. وهو سؤال محوري سيمكننا من إبراز التناقض الخطير في بنية الفكر الديني عموماً، والمسيحي منه على وجه الخصوص، الذي ارتبطت أحداث هذه المرأة به.

ولعل أهم قضية نطرحها للمناقشة والتحليل بداية هي صورة السيدة مريم أم المسيح داخل الأطر القانونية المعترف بها من مختلف الكنائس. وهذه الصورة لها دلالاتها العميقة في فهم طبيعة المجال الذي تحركت فيه هذه المرأة، وإدراك الأبعاد الخطيرة لتجاهل وسطها. كما أن حديثاً مثل هذا يكشف عن خيوط مستترة قد تصمت عنها الكتب المقدسة بتلاوينها المختلفة، ويعطي انطباعاً ولو بشكل غير واضح عن طبيعة هذا الكتمان أو ذلك الغموض، وكل هذا من خلال المقارنة والتحليل.

1- الثناء على مريم في الأناجيل المعتبرة

إن من يقرأ الأناجيل القانونية المعتبرة لدى مختلف المسيحيين بتنوع توجهاتهم ومنطلقاتهم العقدية، يصطدم بغموض واضح يصل إلى حد الإبهام في تناول شخصية لها وزنها في الفكر الديني، وأنشئت حولها مذاهب وتوجهات فلسفية وفكرية، مشكِّلة حولها معالم شخصية قدسية امتدت آثارها إلى أنساق مختلفة من الفكر الديني. فتغييب شخصية في مقام مريم أم المسيح، من شأنه أن يطرح العديد من التساؤلات، ويثير كثيراً من الاستفزازات المعرفية حول سبب هذا الغموض، أو ذلك التغاضي المباشر من طرف كتبة الأناجيل القانونية المعترف بها من طرف المجامع الكنسية المشار إليها سابقاً. ولنتتبع هذه الأناجيل لمعرفة كيف تناولت قضية محورية مثل التي نحن بصدد مقاربتها فنقول:

إن ما يلفت نظر القارئ لإنجيل يوحنا مثلاً هو تجاهله أيَّ ذكر لاسم مريم على امتداد إصحاحاته، ويكتفي بالإشارة إليها بـ: «أم

يسوع». ففي إص2/ 1-5: «**وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك، ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه على العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر فقال لها يسوع: ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد**».

أما مرقس فقد كانت إشارته باهتة إلى هذه الشخصية مع عدم ذكر اسمها ففي الإص3 المق31-35: «**فجاءت حينئذٍ إخوته وأمه ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه وكان الجمع جالساً حوله فقالوا هو ذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك فأجابهم قائلاً: من أمي وإخوتي لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأمي؟**».

أما الأناجيل التي تناولت مسألة طفولة المسيح، والمعروفة بأناجيل الطفولة عند كل من القديسين متى ولوقا، فقد جاء ذكر مريم باهتاً لا يختلف عن الصورة الغامضة، التي أحيطت بشخصيتها عند كل من مرقس ويوحنا، اللذان كان تجاهلهما لجانب الطفولة أمراً ظاهراً، لمن يبحث عن معالم صورة ضائعة بين ثنايا الإنجيل لسيدة الكنيسة على مر العصور.

يصمت القديس متى عن ذكر أي كلمة على لسان مريم، أو كلمة على لسان يوسف أيضاً، من شأنها أن تضيء للقارئ الطريق لتشكيل صورة عن هذه المرأة، ففي كلّ الإنجيل مريَم لا تتكلّم، إنّما يتكلم راوي الأحداث.

ففي سلسلة النسب في بداية إنجيل متى 1/ 16 يقول: «. . . **ويعقوب وَلَدَ يوسف رجُلَ مريَم التي وَلَدت يسوع الذي يُدعى المسيح**». ويذكرها أيضاً في حلم يوسف: «**فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً، ولكن فيما هو متفكر في**

هذه الأمور، إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً: يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل بها هو من الروح القدس». متى 1/ 19- 20.

وعندما أتى المجوس إلى البيت ورأوا الطفل ويوسف والأم، أتى الملاك بعد ذلك لينذر يوسف قائلاً: «**قم وخذ الصبيّ وأمّه واهرب إلى مصر**». متى 2/ 13.

والثناء على مريم في الأناجيل يبتدئ من البشارة بالمولود. ففي إنجيل لوقا: «**فدخل إليها الملك وقال سلام عليك أيتها المنعم عليها، الرب معك مباركة أنت في النساء**»[1]. وبعد محاورة دارت بينها وبين الملاك أجابها الملاك: «**الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله**»[2]. كما أثنت عليها أليصابات بعد رحلتها إليها: «**وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة ثمرة بطنك**».[3]

وفي الهيكل مع سمعان الشيخ وحنّة النبيّة. مريم تُدهَش، تتعجّب ولا تتكلّم. لوقا 2/ 33.

وفي الهيكل لما كان يسوع ابن اثنتي عشر سنة، تقول مريم «**يا بُنَي لمَ فعلتَ بنا هكذا؟ فأبوكَ وأنا تعذبنا كثيراً ونحن نبحثُ عنكَ**». لوقا 2/ 48.

---

(1) إنجيل لوقا، إص 1 مق 28.

(2) إنجيل لوقا، إص 1 مق 25.

(3) إنجيل لوقا، إص 1 مق 43.

وآخر ذكر واضح لمريم العذراء كان في العنصرة، عندما كان التلاميذ مجتمعين والأبواب موصدة خوفاً من اليهود، وكانوا يصلّون: **«هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع مع إخوته»**. أعمال 1/ 14.

وبعدها لا ذكر صريح لمريم إلا في نصّين:

*- **في رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية يذكر «مولودٌ من امرأة»**. غلاطية 4-4

*- في رؤيا يوحنا 12/ 1-4، هناك الحديث يصِف المرأة الملتحفة بالشمس وحولَ رأسها اثني عشر كوكب والتنّين يريد أن يقتُلَ ولَدَها: **«وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً وظهرت آية أخرى في السماء. هوذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان. وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت»**.

2- شهادات إنجيلية تخالف الثناء على مريم

وبعد أن استعرضنا لمجمل الإصحاحات والمقاطع الإنجيلية القانونية، التي تعرضت لمريم من قريب أو من بعيد، لاحظنا أن هناك مواقف خفية من هذه الشخصية التاريخية أكدها الصمت المطبق لكل من إنجيلي مرقس ويوحنا، وزاد في تأكيدها غموض مواقف القديسين متى ولوقا اللذان طمسا كثيراً من الحقائق المرتبطة بها، وسكتا عن جوانب مهمة في حياتها لها أهميتها في كشف حقيقة مريم.

أما الآن فسنستعرض مواقف صريحة لهذه الأناجيل القانونية تكشف المستور، وتجلي حقيقة الغموض، الذي كان سبباً في هذه المواقف المتضاربة. كما وتذهب هذه المقاطع الإنجيلية مذهباً مخالفاً، لكل ثناء خافت حاول لوقا أو متى إضفاءه بشكل خجول على هذه الشخصية.

- في إنجيل يوحنا 1/ 45 46: «**فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة. فقال له نثنائيل: أَمِن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟**».

- وفي إنجيل يوحنا 6/ 42: «**وقالوا أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه؟. فكيف يقول هذا أني نزلت من السماء؟**».

- وفي إنجيل يوحنا 2/ 1- 5: «**وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك. ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر قال لها يسوع: ما لي ولك يا امرأة؟. لم تأت ساعتي بعد. قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه**».

- وفي إنجيل مرقس 3/ 31- 35: «**فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه. وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له: هو ذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك. فأجابهم قائلاً: من أمي وإخوتي؟. ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أمي وإخوتي. لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي**».

- وفي إنجيل مرقس 6/ 2-5: «**ولما كان السبت ابتدأ يعلم في**

المجمع. وكثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين: من أين لهذا هذه؟. وما هذه الحكمة التي أعطيت له حتى تجري على يديه قوات مثل هذه. أليس هذا هو النجار ابن مريم؟. وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان. أو ليست أخواته ههنا عندنا».

وهكذا فكل هذه الشهادات الإنجيلية القانونية، تؤكد من جديد مما لا مجال للبس فيه أن هناك موقفاً خفياً من السيدة مريم، لم تشأ أن تكشف عنه هذه الأناجيل بشكل جلي. غير أن الحقائق لا يمكن طمسها بشكل كلي. فآثارها تظل حاضرة بشكل أو بآخر تتحدث عن نفسها، لا تحتاج إلا قليلاً من القراءة والتتبع.

فهذه النصوص كما رأينا تحمل موقفاً صريحاً من الأم مريم، كشفه تجاهلهم ليسوع بسببها، واستنكارهم الجلي بشأن الخير الذي يمكنه أن يأتي من الناصرة. كما وأكدته مخاطبة يسوع لأمه بالمرأة معرضاً عن ذكر اسمها أو صفتها، وتجاهله لعائلته عند زيارته لأنهم لا يصنعون مشيئة الله كما قال. وتختم هذه النصوص موقفها الصريح بالاستخفاف الواضح من طرف مواطني يسوع: «من أين لهذا هذه؟.»، وذلك بسبب انتمائه لهذه الأم التي تحمل هذه النصوص موقفاً قبيحاً منها: «**أليس هذا هو النجار ابن مريم؟**».

فهذه هي الصورة الأساسية لمريم كما جاءت في الأناجيل المعتبرة. فرغم الأهمية القصوى لشخصيتها في الفكر الديني عموماً، إلا أن هذه الأناجيل القانونية أو المعتبرة، أصرت على أن تغفل هذا الجانب المهم من حياتها. فلم تذكر شيئاً عن أبيها وأمها وعائلتها، إلا ما ذكره لوقا كون امرأة زكريا نسيبتها. وأحيط كل ما من شأنه أن يشكل صورة مريم القديسة بغموض ظاهر مقصود، أو غير مقصود من

طرف كتبة هذه الأناجيل المعتبرة، مما يطرح التساؤل حول مصداقيتها وقانونيتها وإلا:

فلماذا تغيب الأناجيل القانونية مثل هذا الموضوع، بينما تكشف عنه الأناجيل غير القانونية؟

ومن هي الجهة المخولة بهذا الإسقاط والتغييب؟

أهي المجامع المسكونية أم غيرها؟

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تم إسقاطه؟ هل يخالف توجهاتها ومعتقداتها أم لم تتوفر معلومات فعلية عن هذا الوسط؟.

هذه بعض الأسئلة التي تثار حول هذا الموضوع، الذي تم تجاهله من طرف الأناجيل القانونية، التي يفترض تناولها لقضية حساسة مثل هذه. بينما يتم ذكر أمور أخرى تقل أهمية عنه.

وهكذا نرى حضوراً باهتاً لشخصية كان لها الأثر الكبير في تاريخ الكنيسة المسيحية، بحيث غيبت الأناجيل القانونية جانباً مهماً من حياة مريم، من شأنه أن يلقي بظلاله على كثير من الإشكالات المرتبطة بـ«**موضوع الولادة**».

المبحث الثالث
الوسط العائلي في الأناجيل الأبوكريفية

بعد أن حاولنا تلمس بعض معالم الصورة الغامضة للسيدة مريم، داخل الأطر القانونية المعترف بها من الكنائس. نعود إلى البحث من جديد في ما يمكنه أن يرشدنا إلى الاستهداء بخيوط تصل بنا لتركيب الوسط العائلي المفقود في الأناجيل القانونية، كما تلهمنا بشكل من الأشكال، أن نترصد الصورة الكاملة لأم المسيح من خلال التتبع والقراءة. ولكن ستكون انطلاقتنا هذه المرة من خارج الإطار القانوني، عبر البحث في ما سبق أن أشرنا إليه سالفاً بالأناجيل الأبوكريفية:

*- كتاب ولادة مريم (Nativité de Marie)

أ- تعريف

المخطوطة الأصلية لكتاب ولادة مريم غير موجودة. والنص محفوظ في حوالي 130 مخطوطاً، تنقسم إلى نوعين من النصوص: الأول، وهو الأصلي وقد نشر من طرف Fulbert de Chartres، وعرف انتشاراً واسعاً. والثاني، هو نتيجة مراجعة أكثر ترويا وتدقيقاً من الأولى. ويرتكز أساساً على اقتباسات نحوية وأسلوبية تهدف إلى إيضاح النص وتسهيله من أجل القراءة.

وبالمقارنة مع تقليد إنجيل الطفولة لدى متّى، عرف إنجيل ولادة مريم تطوراً دقيقاً ومنتظماً. وهناك ثلاث حالات فقط توضح غناء وثراء هذا التقليد:

- التقديم والديباجة
- وصف يوسف بأرمل له أولاد مراهقين
- إعادة صياغة أقوال البشارة

مارس كتاب ولادة مريم كما هو الحال بالنسبة إلى إنجيل متّى، تأثيراً كبيراً على منسك الزواج. ووجد مبكراً هذا الكتاب مكانته في مجموعات المواعظ والأساطير.

ونجد أول تأثير لهذا الأبوكريف في اللغات الوطنية عند كاتبين فرنسيين خلال القرن الثاني عشر: الأول هو الشاعر Normand Wace الذي استعمل الكتاب لحكي قصة ولادة مريم في شعره المعنون بـ: «مفهوم سيدتنا». والثاني هو Herman de Valenciennes، الذي أدرجه في اقتباسه من الكتاب المقدس المعنون بـ: «رواية الإله وأمه»

وتم اختيار التقسيم التقليدي لهذا الكتاب المكون من عشر إصحاحات، كما اتُّبع تقسيم جد مفصل في مجموعة جمل متباة من أجل النشر الجديد لسلسلة الأبوكريفات[1].

---

(1) هذا التعريف مترجم عن النسخة الفرنسية، وهي التي سنشتغل عليها في هذا البحث، بعنوان: *"La Nativité de Marie"* وهو موجود على شبكة الإنترنت في االرابط الآتي: livres-mystiques.com/partieTEXTES/Apocryphes/ Nativite.html - France، وانظر تعريفاً مختصراً له: بـ **دائرة المعارف الكتابية**، مادة الأبوكريفا، ص 57.

ب- الوسط العائلي في كتاب ولادة مريم

الإصحاح الأول

يواقيم وحنة

نشأت الطوباوية والمعظَّمة مريم الدائمة البتوليّة، من سلالة داود الملكية ومن عائلته، وُلدت في مدينة الناصرة، وتربت في أُورشليم، في هيكل الربّ. وكان والدها يُسَمَّى يواقيم وأُمها، حنة. وكانت عائلة أبيها من الجليل ومن مدينة الناصرة؛ ولكن عائلة أُمها كانت من بيت لحم. وكانت حياتهما بسيطة وبارَّة أمام الربّ؛ ورعة ولا عيب فيها أمام الناس، ولأنهما قسما دخلهما كلّه ثلاثة أقسام، كانا يُنفقان الأول على الهيكل، والثاني يوزّعانه على الغرباء والفقراء، ويحتفظان بالثالث لحاجاتهما وحاجات عائلتهما. وهكذا مضى نحو عشرين عاماً وهما يعيشان في بيتهما، عزيزين عند الله والناس، في زواج عفيف من دون أن يُرزقا أولاداً. وقد نذرا، إذا وهبهما الله نسلاً، أن يكرساه لخدمة الربّ، وعلى هذه النية اعتادا التوجُّه إلى هيكل الربّ في كل عيد من العام.

هذا ملخص يوضح ولو بإيجاز الوسط العائلي الذي تنحدر منه مريم، وهو مترجم عن النص الفرنسي الموجود على شبكة الإنترنت. وهو على الشكل الآتي:

Chapitre 1: « Donc, la bienheureuse et très glorieuse Marie, toujours vierge, est issue de la race royale et de la famille de David ; elle naquit dans la ville de Nazareth et fut élevée à Jérusalem dans le Temple de Dieu. Son père s'appelait Joachim, sa mère Anne. La maison paternelle était originaire

de Galilée, de la ville de Nazareth ; la famille maternelle, de Bethléem. Leur vie était simple et honnête devant Dieu, irréprochable et charitable auprès des hommes. Ils divisaient tout leur bien en trois parts, consacrant une partie au Temple et aux serviteurs du Temple, donnant une autre aux pèlerins et aux pauvres, réservant la troisième pour eux-mêmes et pour les besoins de leur domesticité. Justes envers Dieu, charitables envers les hommes, ils vécurent ainsi pendant vingt ans environ une vie conjugale chaste, sans procréation d'enfants Ils firent cependant voeu, si Dieu leur donnait un descendant, de le consacrer au service du Seigneur ».

الإصحاح الثاني

التوجه بيواقيم

ويواصل الإنجيل حكيه لقصة مريم فيروي: وحدث عندما اقترب عيد التكريس أن يواقيم صعد إلى أُورشليم مع بعض الأفراد من سبطه. وكان إيساشار (Issachar)، في ذلك الوقت، رئيساً للكهنة. وعندما رأى يواقيم حاملاً تقدمته بين رفاقه الآخرين، أبعده واحتقر هباته، سائلاً إياه كيف يجرؤ، وهو الذي لم ينجب نسل، على الظهور أمام مَنْ ليسوا كذلك، وقائلاً إن هباته لا يمكنها أن تكون مَرْضيَّة عند الله، طالما أن الله قضى بأنه غير جدير بأن يُرزَق أولاداً؛ والتوراة تُثبت: ملعون مَنْ لم يلد ذكراً في إسرائيل؛ وقال إن ما على يواقيم إلا أن يبدأ أولاً بالاغتسال من وصمة تلك اللعنة بأن يُرزق ولداً، وإنه يستطيع من ثمّ المثول أمام الربّ مع تقدماته. فاعتزل يواقيم إلى جوار الرعاة الذين كانوا مع قطعانه في مراعيه، يملأه الارتباك لهذا التجريح المهين؛ لأنه لم يُرد العودة إلى بيته، خوفاً من

أن يُذله أفراد سبطه الذين كانوا معه بالتجريح نفسه الذي سمعه من فم الكاهن.

Chapitre 2: « Or, il arriva que, comme la fête de la Dédicace approchait, Joachim monta à Jérusalem avec quelques-uns de sa tribu. C'était alors Issachar qui était grand-prêtre. Lorsqu'il aperçut Joachim parmi les autres avec son offrande, il le rebuta et méprisa ses dons, en lui demandant comment étant stérile, il avait la hardiesse de paraître parmi ceux qui ne l'étaient pas, et disant que, puisque Dieu l'avait jugé indigne d'avoir des enfants, ses dons n'étaient nullement dignes de Dieu ; l'écriture portant: « Maudit celui qui n'a point engendré de mâle en Israël (04) ; » et il dit que Joachim n'avait qu'à commencer d'abord par se laver de la tache de cette malédiction en ayant un enfant, et qu'ensuite il pourrait paraître devant le Seigneur avec ses offrandes. Joachim, rempli de confusion de ce reproche outrageant, se retira auprès des bergers qui étaient avec ses troupeaux dans ses pâturages: car il ne voulut pas revenir en sa maison de peur que ceux de sa tribu qui étaient avec lui ne lui fissent le même reproche humiliant qu'ils avaient entendu de la bouche du prêtre ».

الإصحاح الثالث

بشارة يواقيم

والحال هذه بعدما مرَّ بعض الوقت، ظهر له ملاك الربّ بنور عظيم، ذات يوم كان وحده. وإذ أقلقته هذه الرؤيا، سكّن الملاك خوفه، قائلاً له: «لا تَخَفْ، يا يواقيم، ولا تقلق في حضوري؛ فأنا ملاك الربّ، وقد أرسلني إليك لأُبشّرك بأن صلواتك استُجيبت، وإن

صَدَقاتك صعدت حتى عرشه. فقد رأى خجلك، وسمع التجريح بالعقم الذي وُجّه إليك ظلماً. والحال هذه، أن الله يعاقب الخطيئة لا الطبيعة؛ لذا عندما يجعل أحداً ما عاقراً، فليس ذلك إلا لتبيان آياته من بَعْدُ وإظهار أن الطفل المولود هبة من الله، وليس ثمرة شهوة فاسدة. أفلم تكن سارة، أُم قومك الأولى، عاقراً حتى الثمانين من عمرها؟ ومع ذلك ولدت في آخر عهد الشيخوخة إسحق الموعود ببركة الأُمم كلّها. كذلك راحيل، المرضيَّة جداً عند الربّ والمحبوبة للغاية من الرجل القديس يعقوب، ألم تكن عاقراً زمناً طويلاً، ومع ذلك ولدت يوسف، الذي أصبح سيِّد مصر ومحرِّر أُمم عديدة مشرفة على الموت جوعاً. وبين زعمائكم، مَنْ كان أقوى من شمشون، أو أقدس من صموئيل؟ ومع ذلك ألم يكن للاثنين أُمَّان عاقران؟ فإذا كان العقل لا يقنعك بكلامي، فصدق قوة الأمثلة التي تُثبت أن حالات الحمل المؤجلَّة طويلاً والولادات من عاقر ليست إلا أروع في العادة. هكذا ستلد امرأتك حنة ابنةً، وستسميِّها مريم، وستكرَّسها للربّ منذ طفولتها، كما نذرت ذلك، وستكون مملوءة بالروح القدس، حتى من أحشاء أُمها. أنها لن تأكل ولن تشرب شيئاً نجساً؛ ولن تكون لها أي علاقة بعامة الشعب في الخارج؛ بل ستبقى في هيكل الربّ، خوفاً من إمكان الارتياب أو قول شيء ما مجحف في حقها. لذا، مع تقدمها في العمر، وكما أنها بنفسها ستولَد من أُم عاقر، كذلك ستلد هذه العذراء التي لا نظير لها ابن العلّي، الذي سيُدعى يسوع، ويكون مخلِّص الأُمم كلّها تبعاً لأصل هذا الاسم. وها هي العلامة التي تحصل عليها عن الأمور التي أُبشِّرك بها. حين تصل إلى الباب الذهبي الموجود في أُورشليم، ستجد هناك حنة زوجتك، التي ستأتي

لاستقبالك، والتي سيكون لها من الفرح برؤيتك مقدار ما كان لها من القلق لغيابك». وبعد هذه الكلمات، ابتعد عنه الملاك.

Chapitre 3: « Or, quand il y eut passé quelque temps, un jour qu'il était seul, l'Ange du Seigneur lui apparut avec une immense lumière (06). Cette vision l'ayant troublé, l'Ange calma sa crainte, lui disant: « Ne crains point, Joachim, et ne te trouble pas à mon aspect ; car je suis l'Ange du Seigneur ; il m'a envoyé vers toi pour t'annoncer que tes prières sont exaucées, et que tes aumônes sont montées jusqu'en sa présence. Car il a vu ta honte, et il a entendu le reproche de stérilité qui t'a été adressé injustement. Or, Dieu punit le péché et non la nature ; c'est pourquoi lorsqu'il rend quelqu'un stérile, ce n'est que pour faire ensuite éclater ses merveilles et montrer que l'enfant qui naît est un don de Dieu, et non pas le fruit d'une passion désordonnée. Car Sara, la première mère de votre nation, ne fut-elle pas stérile jusqu'à l'âge de quatre-vingts ans ? Et cependant au dernier âge de la vieillesse elle engendra Isaac, auquel la bénédiction de toutes les nations était promise. De même Rachel, si agréable au Seigneur et si fort aimée du saint homme Jacob, fut longtemps stérile, et cependant elle engendra Joseph, qui devint le maître de l'Egypte et le libérateur de plusieurs nations prêtes à mourir de faim. Lequel de vos chefs a été plus fort que Samson, ou plus saint que Samuel ? Et cependant ils eurent tous les deux des mères stériles. Si donc la raison ne te persuade pas par mes paroles, crois à la force des exemples qui montrent que les conceptions longtemps différées et les accouchements stériles n'en sont d'ordinaire que plus merveilleux. Ainsi ta femme Anne enfantera une fille et tu la nommeras Marie, elle sera consacrée au Seigneur dès son enfance, comme vous en avez fait le vu, et elle sera remplie du Saint-Esprit, même dès le sein de sa mère. Elle ne

mangera ni ne boira rien d'impur ; elle n'aura aucune société avec la foule du peuple au dehors, mais sa demeure sera dans le temple du Seigneur, de peur qu'on ne puisse soupçonner ou dire quelque chose de désavantageux sur elle. C'est pourquoi en avançant en âge, comme elle-même doit naître d'une mère stérile, de même cette Vierge incomparable engendrera le Fils du Très-Haut, qui sera appelé Jésus, et sera le Sauveur de toutes les nations selon l'étymologie de ce nom. Et voici le signe que tu auras des choses que je t'annonce. Lorsque tu arriveras à la porte d'or qui est à Jérusalem (07), tu y trouveras Anne ton épouse, Anne qui viendra au devant de toi, laquelle aura autant de joie de te voir qu'elle avait eu d'inquiétude du délai de ton retour. » Après ces paroles, l'Ange s'éloigna de lui ».

الإصحاح الرابع

البشارة لحنة

وفي هذا الإصحاح تمَّ تبشير امرأة يواقيم حنة بأنها ستلد بنتاً على غرار باقي الأمهات سارة وراحيل. . . ، واسم البنت مريم وستكون مسخرة لخدمة الرب منذ طفولتها، وستملأ بالروح القدس منذ حمل أمها. وذلك عند ظهور الملاك لها قائلاً: «لا تخافي حنة لا تعتقدي أني شبح أنا بالفعل الملَك الذي مثل صلواتك ودعواتك أمام الرب أنا المرسل إليك لإعلامك بأنك ستلدين بنتاً اسمها مريم وستكون مباركة في السماء ممتلئة نعمة من الرب منذ ولادتها».

Chapitre 4: «...Ne crains pas, Anne, ne pense pas que c'est un fantôme que tu vois. Je suis en effet cet ange qui a présenté vos prières et vos aumônes devant le Seigneur. Et maintenant je suis envoyé vers vous pour vous annoncer qu'il vous naîtra

une fille, du nom de Marie, qui sera bénie par-dessus toutes les femmes. Pleine de la grâce du Seigneur dès sa naissance ».

الإصحاح الخامس

ولادة مريم

وامتثلا إذاً لأمر الملاك هما الاثنان، فصعدا إلى أُورشليم، منطلقَين من المكان الذي كانا فيه. وعندما وصلا إلى الموضع المعيَّن بنبوءة الملاك، وجدا نفسهما هناك الواحد قبالة الآخر. عندها سبَّحا كما يجب عليهما الربَّ الذي يرفع المتَّضعين، فرحَين معاً برؤية بعضهما بعضاً ثانيةً ومطمئنَّين بيقين النَّسل الموعود. لذا عادا إلى بيتهما، وقد سجدا للربّ، حيث انتظرا بثقة وفرح الوعد الإلهي. وحبلت حنة إذاً، ووضعت ابنةً، وتبعاً لأمر الملاك، دعاها أبواها باسم مريم.

Chapitre 5: « Se conformant donc au commandement de l'Ange, l'un et l'autre, partant du lieu où ils étaient, montèrent à Jérusalem, et, lorsqu'ils furent arrivés au lieu désigné par la prédiction de l'Ange, ils s'y trouvèrent l'un au devant de l'autre. Alors, joyeux de se revoir mutuellement et rassurés par la certitude de la race promise, ils rendirent grâce comme ils le devaient au Seigneur qui élève les humbles. C'est pourquoi, ayant adoré le Seigneur, ils retournèrent à leur maison, où ils attendaient avec assurance et avec joie la promesse divine. Anne conçut donc, et elle mit au monde une fille, et suivant le commandement de l'Ange, ses parents l'appelèrent du nom de Marie ».

الإصحاح السابع

نذر مريم:

والحال هذه، كانت عذراء الربّ وهي تتقدَّم في العمر، تتقدَّم في الفضيلة، وفقاً لتعبير صاحب المزامير، «أبوها وأُمها تخلَّيا عنها، لكن الله اعتنى بها». فكلّ الأيام كان يزورها الملائكة، وكلّ الأيام كانت تتمتَّع بالرؤيا الإلهية التي كانت تحفظها من كل الشرور وتُسبغ عليها كل الخيرات. لذا بلغت الرابع عشر من دون أن يتمكَّن ليس فقط الأشرار من اكتشاف شيء يستحق اللوم فيها، بل وكل الخيِّرين الذين كانوا يعرفونها كانوا يجدون حياتها وطريقة تصرُّفها جديرتَين بالإعجاب. عندها أذاع رئيس الكهنة علانيةً أن على العذارى اللواتي يُرَبَّين بعناية في الهيكل واللواتي بلغن هذا العمر مكتملاً العودة إلى بيوتهن للزواج تبعاً لعادة الأُمة ونضج العمر. وإذ أطاعت الأُخريات هذا الأمر مسارعات، كانت عذراء الربّ، مريم، الوحيدة التي أجابت بأنها لا تستطيع التصرُّف على هذا النحو، وقالت: «أن أبوَيها لم ينذراها فقط لخدمة الربّ، بل أنها أيضاً كرَّست للربّ عذريتها التي لم تكن تريد أبداً انتهاكها بالعيش مع رجل». واستولى على رئيس الكهنة قلق عظيم، فلم يكن يعتقد بأن من الواجب مخالفة نذرها (وهو ما سيكون ضد التوارة، التي تقول: «أُنذروا وأدُّوا»)، ولا أن من الواجب المجازفة بإدخال عادة غير جارية لدى الأُمة؛ فأمر بأن يكون رؤساء أُورشليم والمواضع المجاورة موجودين في الاحتفال المقبل، من أجل أن يُعرَف عبر المجلس ماذا يجب أن يُفعَل في حال استشارة الله في ذلك. وانشغل الجميع إذاً بالتضرُّع، مَثَلَ رئيس الكهنة تبعاً للعادة

لاستشارة الله. وسمع الجميع على الفور صوتاً خرج من وسيط الوحي ومن مكان الاستعطاف، قائلاً إن من الواجب، تبعاً لنبوءة إشعياء، البحث عن أحد ما ينبغي أن يُعهَد بهذه العذراء إليه وتُزَفَّ إليه. فمن المعروف أن إشعياء قال: «ستخرج عذراء من أصل يَسّى، ومن هذا الأصل ترتفع زهرة يحلُّ عليها روح الربّ، روح الحكمة والفطنة، روح المشورة والقوة، روح العلم والورع، وستكون مملوءة بروح مخافة الربّ». وأمر رئيس الكهنة إذاً، استناداً إلى هذه النبوءة بأن يحمل كلٌّ من البالغين وغير المتزوّجين من بيت داود ومن عائلته قلماً إلى المذبح، فسوف يُعهد بالعذراء وتُزَوَّج مَنْ قلمه، بعد أن يُحمَل، يُنبت زهرةً، وعلى رأسه يحلُّ روح الربّ في هيئة حمامة.

Chapitre 7: « Or la Vierge du Seigneur, en avançant en âge profitait en vertus (10), et suivant l'expression du Psalmiste, « son père et sa mère l'avaient délaissée, mais le Seigneur prit soin d'elle. » Car tous les jours elle était fréquentée par les Anges, tous les jours elle jouissait de la vision divine qui la préservait de tous les maux et qui la comblait de tous les biens. C'est pourquoi elle parvint à l'âge de quatorze ans sans que non seulement les méchants pussent rien découvrir de répréhensible en elle, mais tous les bons qui la connaissaient trouvaient sa vie et sa manière d'agir dignes d'admiration. Alors le grand-prêtre annonçait publiquement que les Vierges que l'on élevait soigneusement dans le temple et qui avaient cet âge accompli s'en retournassent chez elles pour se marier selon la coutume de la nation et la maturité de l'âge. Les autres ayant obéi à cet ordre avec empressement, la Vierge du Seigneur Marie fut la seule qui répondit qu'elle ne pouvait agir ainsi, et elle dit: « Que non seulement ses parents l'avaient engagée au service du Seigneur, mais encore qu'elle

avait voué au Seigneur sa virginité qu'elle ne voulait jamais violer en habitant avec un homme. » Le grand-prêtre fut dans une grande incertitude, car il ne pensait pas qu'il fallût enfreindre son vu (ce qui serait contre l'écriture, qui dit: « Vouez et rendez »), ni qu'il fallût se hasarder à introduire une coutume inusitée chez la nation; il ordonna que tous les principaux de Jérusalem et des lieux voisins se trouvassent à la solennité qui approchait, afin qu'il pût savoir par leur conseil ce qu'il y avait à faire dans une chose si douteuse. Ce qui ayant été fait, l'avis de tous fut qu'il fallait consulter le Seigneur sur cela. Et tout le monde étant en oraison, le grand-prêtre selon l'usage se présenta pour consulter Dieu. Et sur le champ tous entendirent une voix qui sortit de l'oracle et du lieu de propitiation, qu'il fallait, suivant la prophétie d'Isaïe, chercher quelqu'un à qui cette Vierge devait être recommandée et donnée en mariage. Car on sait qu'Isaïe dit: « Il sortira une Vierge de la racine de Jessé, et de cette racine il s'élèvera une fleur sur laquelle se reposera l'esprit du Seigneur, l'esprit de sagesse et d'intelligence, l'esprit de conseil et de force, l'esprit de science et de piété, et elle sera remplie de l'esprit de la crainte du Seigneur ». Le grand-prêtre ordonna donc, d'après cette prophétie, que tous ceux de la maison et de la famille de David qui seraient nubiles et non mariés, vinssent apporter chacun une baguette sur l'autel, car l'on devait recommander et donner la Vierge en mariage à celui dont la baguette, après avoir été apportée, produirait une fleur, et au sommet de laquelle l'esprit du Seigneur se reposerait sous la forme d'une colombe ».

الإصحاح الثامن

يوسف والحمامة

وكان بين أعضاء بيت داود وعائلته، رجل كبير السن، اسمه

يوسف، وفيما كان الجميع يحملون قلمهم تبعاً للأمر المُعطى، هو وحده خبّأ قلمه. لذا ظنّ رئيس الكهنة بأن من الواجب استشارة الله مجدَّداً، إذ لم يظهر شيءٌ موافقٌ الصوتَ الإلهي، فأجاب الربّ بأن مَنْ يجب أن يتزوج العذراء كان الوحيد من كل الذين اختيروا الذي لم يحمل قلمه. واكتُشف يوسف إذاً. فحين حمل قلمه، وحلّت على رأسه حمامة، آتية من السماء، غدا واضحاً للجميع أن العذراء يجب أن تُزَوَّج منه. وإذ احتفل بالخطوبة تبعاً للعادة المألوفة، عاد إلى مدينة بيت لحم، لترتيب بيته وتجهيز الأمور الضرورية للعرس. لكن عذراء الربّ، مريم، مع سبع عذارى أُخريات من عمرها ومفطومات معها، تلقَّتهنَّ من الكاهن، رجعت إلى الجليل إلى بيت أبوَيها.

Chapitre 8: « Il y avait parmi les autres de la maison et de la famille de David, Joseph, homme fort âgé, et tous portant leurs baguettes selon l'ordre donné, lui seul cacha la sienne. C'est pourquoi, rien n'ayant apparu de conforme à la voix divine, le grand-prêtre pensa qu'il fallait derechef consulter Dieu, et le Seigneur répondit que celui qui devait épouser la Vierge était le seul de tous ceux qui avaient été désignés qui n'eût pas apporté sa baguette. Ainsi Joseph fut découvert Car lorsqu'il eut apporté sa baguette, et qu'une colombe, venant du ciel, se fut reposée sur le sommet, il fut manifeste pour tous que la Vierge devait lui être donnée en mariage. Ayant donc célébré les fiançailles selon l'usage accoutumé (11), il se retira dans la ville de Bethléem, pour arranger sa maison et pourvoir aux choses nécessaires pour les noces. Mais la Vierge du Seigneur Marie, avec sept autres Vierges de son âge et sevrées avec elle, qu'elle avait reçues du prêtre, s'en retourna en Galilée dans la maison de ses parents ».

الإصحاح التاسع

الثناء على مريم

والحال هذه، في تلك الأيام، أي في أول زمن وصولها إلى الجليل، أرسل إليها الله الملاك جبرائيل ليبشِّرها بأنها ستحبل بالربّ ويشرح لها طريقة الحمل ونظامه. وإذ دخل نحوها، ملأ الغرفة التي كانت تمكث فيها بنور عظيم، وقال لها، مسلِّماً عليها باحترام عظيم: «السلام عليك، يا مريم، يا عذراء الربّ، المَرْضيّة جداً عند الله، الممتلئة نعمةً؛ الربّ معك؛ مباركة أنت فوق كلّ النساء، مباركة فوق كل الرجال المولودين حتى الآن». والعذراء التي كانت تعرف جيداً وجوه الملائكة، والتي كانت معتادةً النور السماوي، لم ترتعبْ لرؤية ملاك، ولا دهشت لسطوع النور، لكن خطابه وحده أقلقها، وتساءلت عما يمكن أن يكون هذا السلام الخارق جداً، وما يعنيه أو أي خاتمة ينبغي أن تكون له. فقال لها الملاك، مُلهَماً إلهياً، ومواجهاً هذه الفكرة: «لا تخافي يا مريم، كما لو أنني أُخفي بهذا السلام أمراً ما مناقضاً لعفّتك. فعلى رغم أنك عذراء، سوف تحبلين بلا خطيئة وتلدين ابناً. وسيكون هذا عظيماً، لأنه سيسود من البحر حتى البحر، ومن النهر حتى أطراف الأرض. وسوف يُدعى ابن العلّي، لأنه بولادته مُتَّضعاً على الأرض سيملك عظيماً في السماء. وسيعطيه الربّ الإله كرسيَّ داود أبيه، ولن يكون لملكه انقضاء. إنه هو نفسه ملك الملوك وربّ الأرباب، وسيدوم عرشه إلى أبد الآبدين». وصدَّقت العذراء كلمات الملاك هذه. لكنها أجابت، راغبةً في معرفة الطريقة: «كيف يمكن لذلك أن يحصل، فكما أنني لن أعرف رجلاً، وفقاً

لنذري، كيف أستطيع أن ألد من دون التوقف عن أن أكون عذراء؟» فقال لها الملاك رداً على ذلك: «لا تظني، يا مريم، بأن عليك أن تحبلي بطريقة بشرية. فسوف تحبلين مع بقائك عذراء، من دون علاقة بأي رجل؛ وعذراءَ، تُرضعين. فالروح القدس سيحلُّ فجأةً فيك، وقوة العليّ تظلِّلك ضد كل احتدامات الدنس. فقد وجدت حظوةً أمام الربّ، لأنك آثرت العفّة. لذا مَنْ يولد منك سيكون وحده قدوساً، لأنه وحده يكون محمولاً ومولوداً بلا خطيئة، وسيُدعى ابن الله». عندها قالت مريم، باسطةً يدَيها ورافعةً عينَيها: «ها هي أمَة الربّ (لأنني لست أهلاً لاسم مولاة): ليكن لي بحسب كلمتك». (لوقا: 1، 38.) (سيكون طويلاً للغاية وحتى مُضجراً آن ننتقل هنا كل ما سبق أو تلي ولادة الربّ. لذا، متجاوزين ما هو مطّول في الإنجيل، لنُنْه بما ليس بهذا التفصيل فيه)[1].

Chapitre 9: « Or, en ces jours-là, c'est-à-dire au premier temps de son arrivée en Galilée, l'Ange Gabriel lui fut envoyé de Dieu pour lui raconter qu'elle concevrait le Seigneur et lui exposer la manière et l'ordre de la conception. Etant entré vers elle, il remplit la chambre où elle demeurait d'une grande lumière, et, la saluant avec une très grande vénération, il lui dit: « Je te salue, Marie, Vierge du Seigneur, très agréable à Dieu, pleine de grâce ; le Seigneur est avec toi ; tu es bénie par-dessus toutes les femmes, tu es bénie par-dessus tous les

(1) الترجمة العربية مأخوذة من الرابط الآتي: http: //st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-012-Father-Abdel-Messih-Basiet-Abo-El-Kheir/010-Anageel-Al-Tofoola/New-Testament-Apocrypha-I-56-Mary-Birth-Gospel.html

hommes nés jusqu'à présent. » Et la Vierge, qui connaissait déjà bien les visages des Anges, et qui était accoutumée à la lumière céleste, ne fut point effrayée de voir un Ange, ni étonnée de la grandeur de la lumière, mais son seul discours la troubla, et elle commença à penser quelle pouvait être cette salutation si extraordinaire, ce qu'elle présageait ou quelle fin elle devait avoir. L'Ange, divinement inspiré, allant au devant de cette pensée: « Ne crains point, dit-il, Marie, comme si je cachais par cette salutation quelque chose de contraire à ta chasteté. C'est pourquoi, étant Vierge, tu concevras sans péché et tu enfanteras un fils. Celui-là sera grand, parce qu'il dominera depuis la mer jusqu'à la mer, et depuis le fleuve jusqu'aux extrémités de la terre. Et il sera appelé le Fils du Très-Haut, parce qu'en naissant humble sur la terre, il règne élevé dans le Ciel. Et le Seigneur Dieu lui donnera le siège de David son père, et il régnera à jamais dans la maison de Jacob, et son règne n'aura point de fin. Il est lui-même le Roi des rois et le Seigneur des seigneurs, et son trône subsistera dans le siècle du siècle. » La Vierge crut à ces paroles de l'Ange, mais, voulant savoir la manière, elle répondit: « Comment cela pourra-t-il se faire? Car, puisque, suivant mon vu, je ne connais point d'homme, comment pourrai-je enfanter sans cesser d'être vierge ? » A cela l'Ange lui dit: « Ne pense pas, Marie, que tu doives concevoir d'une manière humaine. Car, sans avoir de rapport avec nul homme, tu concevras en restant vierge ; vierge, tu enfanteras ; vierge, tu nourriras. Car le Saint-Esprit surviendra en toi, et la vertu du Très-Haut te couvrira de son ombre contre toutes les ardeurs de l'impureté. Car tu as trouvé grâce devant le Seigneur, parce que tu as choisi la chasteté. C'est pourquoi ce qui naîtra de toi sera seul Saint, parce que seul conçu et né

sans péché, il sera appelé le Fils de Dieu. » Alors Marie, étendant les mains et levant les yeux, dit: « Voici la servante du Seigneur (car je ne suis pas digne du nom de maîtresse) ; qu'il me soit fait suivant ta parole. » (Il serait trop long et même ennuyeux de rapporter ici tout ce qui a précédé ou suivi la naissance du Seigneur. C'est pourquoi passant ce qui se trouve plus au long dans l'évangile, finissons par ce qui n'y est pas si détaillé ».

*- كتاب رؤيا يعقوب "*Protoévangile de Jacques*"

- تعريف

أطلق اسم Protoévangile أو رؤيا يعقوب، العالم الإنساني الفرنسي في القرن 16 الذي أعلنه في الغرب، لأن النص يروي أحداثاً سابقة للقصص الإنجيلية القانونية.

والمخطوطات القديمة جداً عرفت باسم ولادة مريم ورؤيا يعقوب. وهو كتاب كتب من طرف الحواري يعقوب الأخ الأصغر ليسوع حسب الإنجيل والأخ الأوسط حسب هذا الإنجيل. وهو قديم جداً يرجع ظهوره إلى منتصف القرن الثاني، ويستلهم بكل حرية قصصاً قانونية للطفولة. والكتاب غير مدين لليهودية المسيحية كما يشهد جهله بالتقاليد اليهودية. ومن المحتمل أن يكون كاتبه من أصول وثنية أو ينحدر من مصر أو آسيا الصغرى. وقد كتب نصه لهدف دفاعي ليضبط من خلال هذا الدفاع إشكالية تجسد يسوع أمام اليونانيين واليهود.

عرف الكتاب عبر القرون قبولاً كبيراً، وقد استلهم من كتب

أخرى من النوع نفسه، وأشهرهم إنجيل متى الذي تغلب عليه نبرة الجانب الإعجازي[1].

- الوسط العائلي

فِيْ تَارِيْخِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيْلَ الاِثْنَيّ عَشَرَ، 2مَكْتُوْبٌ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ يُدْعَى يَهْوَيَاقِيْمُ، 3وَكَانَ رَجُلاً مُقْتَدِراً وَمَيْسُوْراً، 4وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ يُقَدِّمُ صَدَقَاتٍ كَثِيْرَةٍ قَائِلاً: «الْأَشْيَاءُ الْفَائِضَةُ عَنِّيَ سَتَكُوْنُ لِلنَّاسِ جَمِيْعاً، وَسَتَكُوْنُ للهِ لِيَغْفِرَ وَيَرْضَى عَنِّيَ».

5وَكَانَ يَوْمُ الرَّبِّ مَسَاءً، وَأَوْلاَدُ إِسْرَائِيْلَ يُقَدِّمُوْنَ ذَبَائِحَهُمْ، 6فَوَقَفَ رَأُوْبِيْنَ ضِدَّ يَهْوَيَاقِيْمَ قَائِلاً لَيْسَ مُنَاسِباً لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَهُ أَوَّلاً، لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطَى نَسْلاً فِيْ إِسْرَائِيْلَ. 7فَحَزِنَ يَهْوَيَاقِيْمُ جِدّاً فِيْ قَلْبِهِ وَذَهَبَ لِكَاتِبِ الْأَسْبَاطِ الاِثْنَي عَشَرَ مِنَ النَّاسِ قَائِلاً: «سَوْفَ أَرَى فِيْ الْكُتُبِ إِنْ كُنْتُ أَنَا الْوَحِيْدُ الَّذِيْ لَمْ يُعْطَ نَسْلاً فِيْ إِسْرَائِيْلَ!». 8فَفَتَّشَ وَوَجَدَ أَنَّ الْبَارِّيْنَ جَمِيْعاً قَدْ أُعْطُوا نَسْلاً فِيْ إِسْرَائِيْلَ، 9وَتَذَكَّرَ أَبُوْنَا إِبْرَاهِيْمَ كَيْفَ أَنَّهُ أُعْطِيَ وَلَداً وَهُوَ فِيْ شَيْخُوْخَتِهِ، ثُمَّ تَبِعَهُ إِسْحَاقَ.

10فَتَأَلَّمَ يَهْوَيَاقِيْمُ فِيْ قَلْبِهِ وَلَمْ يَدَعْ اِمْرَأَتَهُ أَنْ تَرَاهُ، 11وَأَخَذَ نَفْسَهُ إِلَى الْبَرِّيَةِ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ هُنَاكَ، 12وَصَامَ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً قَائِلاً: «لَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْمَكَانَ وَأَعُوْدُ أَدْرَاجِيَ، لَنْ آكُلَ وَلَنْ أَشْرَبَ حَتَّى يَزُوْرَنِي الرَّبُّ،

---

(1) التعريف ترجمة أيضاً للنص الفرنسي الموجود على شبكة الإنترنت، وسيكون أيضاً محل اشتغالنا في هذا البحث، ورابطه هو: http:// catholicus.pagesperso-orange.fr/Apocryphes/Apocryphe5.html، ينظر تعريفاً مختصراً له: بـ **دائرة المعارف الكتابية**، مادة الأبوكريفا، ص 57.

وَسَتَكُوْنُ صَلَوَاتِي هِيَ طَعَامِيَ وَشَرَابِيَ».

أما حنة فلا همَّ لها إلا شيئين: العويل والضرب على الصدر:

«2وَكَانَ سَبْتُ الرَّبِّ لَيْلاً، وَيَهُوْدِيْتَ جَارِيَتُهَا عِنْدَهَا فَقَالَتْ لَهَا: «مَا أَكْثَرَ تَوَاضُعَ نَفْسِكِ! سَبْتُ الرَّبِّ قَدْ حَلَّ وَلَيْسَ حَسَنٌ أَنْ تُوَلْوِلِي. لَكِنْ خُذِيْ هَذِهِ الْعُصْبَةَ الَّتِي أَعْطَتْنِي إِيَّاهَا سَيِّدَتِي، لِأَنَّهُ لَيْسَ مُنَاسِباً لِيْ أَنْ أَضَعَهَا، فَأَنَا جَارِيَةٌ وَهِيَ عَلاَمَةٌ لِلْمُلُوْكِ!». 3فَقَالَتْ حَنَّةُ: «اِذْهَبِيْ عَنِّيْ!، وَآسَفَاهُ!، لَمْ أَعْصِيْ إِلَهِي، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الرَّبَّ اِحْتَقَرَنِي، مِنَ الأَحْشَاءِ عَرَفَنِي وَجَعَلَنِي شَرِيْكَةً فِيْ الْخَطِيَّةِ». 4فَقَالَتْ يَهُوْدِيْتُ «كَيْفَ لَعَنَكِ؟ أَلِأَنَّهُ أَغْلَقَ رَحْمَكِ وَلَمْ يُعْطِكِ نَسْلاً فِيْ إِسْرَائِيْلَ؟».

5فَحَزِنَتْ حَنَّةُ فِيْ قَلْبِهَا كَثِيْراً، وَنَاحَتْ نَوْحاً عَظِيْمَاً، لِأَنَّهَا كَانَتْ مُلاَمَةً مِنْ جَمِيْعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيْلَ، 6وَقَالَتْ فِيْ نَفْسِهَا: «مَاذَا أَفْعَلُ؟! سَوْفَ أَبْكِيْ فِيْ الصَّلاَةِ لِلرَّبِّ إِلَهِي حَتَى يَفْتَقِدَنِي!»، 7فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ الْحِدَادِ، وَزَيَّنَتْ رَأْسَهَا بِثِيَابِ الْعُرُوْسِ. 8وَحَوَالِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ نَزَلَتْ إِلَى الْحَدِيْقَةِ لِتَتَمَشَّى هُنَاكَ. 9وَرَأَتْ شَجَرَةَ غَارٍ، فَجَلَسَتْ تَحْتَهَا وَصَرَخَتْ إِلَى الرَّبِّ: «يَا إِلَهَ آبَاءِنَا! بَارِكْنِي وَاسْمَعْ صَلاَتِيَ كَمَا بَارَكْتَ رَحْمَ سَارَايَ وَأَعْطَيْتَهَا اِبْنَهَا إِسْحَاقَ».

2.4 « Dieu de mes pères, dit-elle, bénis-moi, exauce ma prière, ainsi que tu as béni Sarah, notre mère, et lui as donné son fils Isaac ».

وَنَظَرَتْ وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ ظَهَرَ لَهَا قَائِلاً: 2«حَنَّةُ! حَنَّةُ! لَقَدْ سَمِعَ الرَّبُّ لِمَذَلَّتِكِ وَلِصَلاَتِكِ! وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِيْنَ وَتَلِدِيْنَ، وَسَتَتَبَارَكُ بِنَسْلِكِ جَمِيْعُ الأُمَمِ». 3فَقَالَتْ حَنَّةُ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ! إِذَا أَنْجَبْتُ ذَكَراً

أَوْ أُنْثَى سَأُقَدِّمُ الْمَوْلُوْدَ هِبَةً لِلرَّبِّ إِلَهِيَ، وَسَيَخْدُمُهُ مَدَى الْحَيَاةِ».

4.1. Et voici qu'un ange du Seigneur parut, disant: « Anne, Anne, le Seigneur Dieu a entendu ta prière. Tu concevras, tu enfanteras et l'on parlera de ta postérité dans la terre entière ».

وظهر الملاك ليواقيم وبشره بمولود فرح بشأنه، وتم لقاؤه بزوجته التي قالت: «لو تعلم كم أن الرب باركني. الأرملة لم تعد أرملة والعاقر ستلد».

5.4. « Maintenant je sais que le Seigneur Dieu m'a comblée de bénédictions ! Voici: la veuve n'est plus veuve et la stérile a conçu ! ».

وبعد مرور ستة أشهر، ولدت حنة وأنجبت بنتاً نالت مباركة الكهان. وببلوغ الطفلة عامها الثاني تم حملها إلى كنيسة الرب لتكمل الوعد الإلهي. وفي سن12 من عمرها تشاور الكهان في شأنها. حيث ظهر ملاك الرب لزكرياء: «زَكَرِيَّا! زَكَرِيَّا! قُمْ وَاجْمَعِ الْأَرَامِلَ مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ! 8وَلْيُحْضِرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَصَا! 9وَالَّذِيْ يَرَى الْعَلَامَةَ مِنَ الرَّبِّ سَتَكُوْنُ لَهُ زَوْجَةً».

8.3. « Zacharie, Zacharie, sors et convoque les veufs du peuple. Qu'ils apportent chacun une baguette. Et celui à qui le Seigneur montrera un signe en fera sa femme ».

وقفت الحمامة فوق رأس يوسف فامتنع عن الزواج بمريم في أول مرة، لينصاع بعد ذلك لحكم الكاهن وقبوله الزواج بمريم: «مريم معبد الرب عهد بك إليَّ، الآن سأتركك في منزلي، لأنني سأذهب

لأكمل بنائي، سأعود إليك. الرب يحميك».

9.3 « Marie, le temple du Seigneur t'a confiée à moi. Maintenant je te laisse en ma maison. Car je pars construire mes bâtiments. Je reviendrai auprès de toi. Le Seigneur te gardera ».

- الثناء على مريم

وبعد بلوغ الطفلة ثلاث سنوات قال جواشيم: «اِسْتَدْعُوا بَنَاتَ أُوْرِشَلِيْمَ الَّذِيْنَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا! وَلْتَأْخُذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مُنْهُنَّ مِصْبَاحاً، وَلْيُشْعِلُوا الْمَصَابِيْحَ حَتَّى لاَ يَزُوْغَ قَلْبُ الطِّفْلَةِ عَنْ بَيْتِ اللهِ». وَفَعَلْنَ كَمَا أَمَرَهُنَّ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى أَنْ دَخَلُوا إِلَى دَاخِلِ هَيْكَلِ الرَّبِّ الإِلَهِ. وَتَقَبَّلَهَا الْكَهَنَةُ وَقَبِلُوْهَا وَبَارَكُوْهَا قَائِلِيْنَ: «الرَّبُّ قَدْ عَظَّمَ اِسْمَهَا فِي كُلِّ الأَجْيَالِ، وَفِيْ آخِرِ الأَيَّامِ بِهَا سَيُعْلِنُ الرَّبُّ فِدَائَهُ لِبَنِي إِسْرَائِيْلَ»

L'enfant eut trois ans. Joachim dit: « Appelons les filles des Hébreux, celles qui sont sans tache. Que chacune prenne un flambeau et le tienne allumé: ainsi, Marie ne se retournera pas et son coeur ne sera pas retenu captif hors du temple du Seigneur ». L'ordre fut suivi, et elles montèrent au temple du Seigneur. Et le prêtre accueillit l'enfant et l'ayant embrassée, il la bénit et dit: « Le Seigneur Dieu a exalté ton nom parmi toutes les générations. En toi, au dernier des jours, le Seigneur manifestera la rédemption aux fils d'Israël » 7/2.

وَكَانَ أَبَوَيْهَا يُسَبِّحُوْنَ اللهَ وَيُمَجِّدُوْنَهُ لِأَنَّهَا لَمْ تَلْتَفِتْ إِلَى الْوَرَاءِ وَلَمْ يَرْجِعْ قَلْبُهَا عَنْ بَيْتِ الرَّبِّ. 2وَتَرَبَّتْ مَرْيَمُ فِيْ هَيْكَلِ الرَّبِّ كَحَمَامَةٍ، وَكَانَتْ تَتَنَاوَلُ الأَكْلَ مِنْ يَدِ الْمَلاَكِ.

8.1 « Ses parents descendirent, émerveillés, louant et glorifiant le Dieu souverain qui ne les avait pas dédaignés. Et Marie demeurait dans le temple du Seigneur, telle une colombe, et elle recevait sa nourriture de la main d'un ange ».

وبعدما بلغت مريم الثانية عشر من عمرها خاف الكهنة أن تدنس معبد الرب فطلبوا من رئيس الكهنة الصلاة من أجلها فإذا بملاك الرب قائلاً: «زَكَرِيَّا! زَكَرِيَّا! قُمْ وَاجْمَعِ الْأَرَامِلَ مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ! 8وَلْيُحْضِرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَصَا! 9وَالَّذِيْ يَرَى الْعَلَامَةَ مِنَ الرَّبِّ سَتَكُوْنُ لَهُ زَوْجَةً».

8.3. « Et le prêtre revêtit l'habit aux douze clochettes, pénétra dans le Saint des Saints et se mit en prière. Et voici qu'un ange du Seigneur apparut, disant: " Zacharie, Zacharie, sors et convoque les veufs du peuple. Qu'ils apportent chacun une baguette. Et celui à qui le Seigneur montrera un signe en fera sa femme ».

«فَتَرَكَ يُوْسُفُ فَأْسَهُ وَرَكَضَ مَعَ الْجَمْعِ، 2وَلَمَّا اِجْتَمَعُوا، ذَهَبُوْا إِلَى رَئِيْسِ الْكَهَنَةِ، فَأَخَذَ عِصِيَّهُمْ وَذَهَبَ وَدَخَلَ إِلَى الْهَيْكَلِ، 3وَصَلَّى، وَعِنْدَمَا اِنْتَهَى مِنَ الصَّلَاةِ، أَخَذَ الْعِصِيَّ ثُمَّ عَادَ وَأَعْطَاهُمْ عِصِيَّهُمْ. 4وَلَمْ تُوْجَدْ أَيُّ عَلَامَةٍ مِنَ اللهِ، وَاسْتَلَمَ يُوْسُفُ عَصَاهُ فِي الْأَخِيْرِ، 5وَنَظَرُوا فَإِذَا بِحَمَامَةٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْعَصَا وَطَارَتْ عَلَى رَأْسِ يُوْسُفَ. 6فَقَالَ لَهُ رَئِيْسُ الْكَهَنَةِ: «لَكَ صَارَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ! أَنْتَ تَأْخُذُ الْعَذْرَاءَ وَتَكُوْنُ عِنْدَكَ».

10.1 « Joseph jeta sa hache et lui aussi alla se joindre à la troupe. Ils se rendirent ensemble chez le prêtre avec leurs

baguettes. Le prêtre prit ces baguettes, pénétra dans le temple et pria. Sa prière achevée, il reprit les baguettes, sortit et les leur rendit. Aucune ne portait de signe. Or Joseph reçut la sienne le dernier. Et voici qu'une colombe s'envola de sa baguette et vint se percher sur sa tête. Joseph jeta sa hache et lui aussi alla se joindre à la troupe. Ils se rendirent ensemble chez le prêtre avec leurs baguettes. Le prêtre prit ces baguettes, pénétra dans le temple et pria. Sa prière achevée, il reprit les baguettes, sortit et les leur rendit. Aucune ne portait de signe. Or Joseph reçut la sienne le dernier. Et voici qu'une colombe s'envola de sa baguette et vint se percher sur sa tête ».

رفض يوسف الأمر في الأول واعترض بأنه رجل عجوز وهي طفلة صغيرة، وأنه سيستهزئ به المجتمع اليهودي. فقال الكهنة ليوسف: تَخَوَّفْ مِنَ اللهِ وَتَذَكَّرِ الأَشْيَاءَ الَّتِي صَارَتْ إِلَى دَاثَانِ وَأَبِيْرَامَ وَكُوْرُعَ كَيْفَ اِنْشَقَّتِ الأَرْضُ وَابْتَلَعَتْهُمْ، 9لأَنَّهُمْ رَفَضُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ! خَفْ عَلَى نَفْسِكَ الآنَ!». وَلَمَّا كَانَ يُوْسُفُ مُنْزَعِجاً أَخَذَهَا عِنْدَهُ لِتَكُوْنَ لَهُ، فَقَالَ لِمَرْيَمَ: «وَآسَفَاهُ! لَقَدْ اِسْتَلَمْتُكِ مِنْ هَيْكَلِ الرَّبِّ»، 11«أَتْرُكُهَا الآنَ فِي الْبَيْتِ وَأَذْهَبُ لأُكْمِلَ الْبِنَاءَ، ثُمَّ أَعُوْدُ إِلَيْهَا لاحِقاً، وَالرَّبُّ سَيَرْعَاكِ!»[1].

9.2. Mais Joseph protesta: « J'ai des fils, je suis un vieillard et elle est une toute jeune fille. Ne vais-je pas devenir la risée des fils d'Israël ? »

« Joseph, répondit le prêtre, crains le Seigneur ton Dieu, et

(1) الترجمة مأخوذة عن الرابط الآتي: www.ebnmaryam.com/vb/t186132.html

souviens-toi du sort que Dieu a réservé à Dathan, Abiron et Corê. La terre s'entrouvrit et les engloutit tous à la fois, parce qu'ils lui avaient résisté. Et maintenant, Joseph, crains de semblables fléaux sur ta maison ! »

9.3. Très ému, Joseph prit la jeune fille sous sa protection et lui dit: « Marie, le temple du Seigneur t'a confiée à moi. Maintenant je te laisse en ma maison. Car je pars construire mes bâtiments. Je reviendrai auprès de toi. Le Seigneur te gardera ».

*- ملاحظات حول موضوع بدايات مريم

يبدو أن موضوع السيدة مريم ووسطها العائلي مثير للتساؤلات والاستفهامات، ففي حين تغيب جوانب مهمة في ما يعتبر في المنظومة الدينية قانوني، تحضر جوانب أخرى في ما هو غير رسمي أو قانوني أو معتبر. ومن خلال هذه اللمحة والإطلالة على جوانب الموضوع نخلص إلى الملاحظات الآتية:

- خلو الأناجيل القانونية من أي ذكر لهذه القضية يطرح التساؤل حول سبب هذا الغياب.

- شهادات الأناجيل القانونية تؤكد أن هناك موقفاً سلبياً من السيدة مريم.

- اتفاق كل من إنجيلي ولادة مريم وإنجيل يعقوب حول النقاط الآتية:

* الاتفاق على اسم أبوي مريم
* حسن الوسط العائلي
* انتماء مريم لعائلة داود
* عقم كل من أبوي مريم

* ولادة مريم بطريقة معجزة
* نذر مريم لخدمة الرب
* حسن سيرة مريم وسلوكها.

المبحث الرابع
الإسلام وبدايات مريم

*- مقدمات منهجية

قبل الحديث عن موضوع مريم من زاوية الإسلام، يجدر بنا أن نعرج قليلاً على ما نعتبره مهماً من الناحية المنهجية، ويمكن أن يساعد القارئ أو المتتبع على فهم البنية الفكرية التي ننطلق منها، وإن كنا نعتبرها مجرد اجتهاد يمكن أن يكون مخطئاً ويمكن أن يكون مصيباً. إن أي منهج كيفما كان منطلقه الفكري يكون هدفه هو محاولة ضبط الأمور، كي لا تصير العملية عملية لا تنضبط بضوابط وقواعد معينة. وهو إطار ضابط لتكون النتائج أيضاً مضبوطة، بمعنى أن تكون غير متناقضة أو متباينة مع منطقها أو مع غيرها. وإلى هذا الحد فإن المنهج ضروري في ضبط الأمور، ولكن شرط أن لا يتحول المنهج أيضاً إلى فضاء للتعتيم، أو فضاء لخلق أجواء من التوتر الفكري. فالمنهج هو نتيجة منطقية لقراءات متعددة يتداخل فيها العامل النفسي بالتاريخي والاجتماعي والسياسي والثقافي وغير ذلك. فإذا كانت عملية القراءة هي عملية متغيرة بالضرورة بتغير الزمان والمكان، فإن ما ينتج عنها من منهج سيكون بالضرورة متغيراً. وهذا هو التسلسل المنطقي لسؤال الثبات أو التغير في المنهج.

وبوصولنا إلى هذه النتيجة المنطقية حسب رؤيتنا طبعاً لها،

فوصف المنهج بالثبات، وهو نتيجة منطقية لقراءة أو قراءات متعددة فيه الكثير من التجاوز لما سميناه بمقدمات منطقية. وحقيقة، إن مثل هذا الكلام الذي يحاول أن ينأى بالإنسان عن أن يكون حاضراً في العملية التفسيرية تحت مسمى المنهج، لا مسوغ منطقي أو عقلي له أيضاً. إذ إن صانع المنهج لا بد أن يصطبغ فكره ونضجه بلون نفسيته ومجتمعه وثقافته، مهما حاول أن ينأى بنفسه بعيداً عن هذا أو ذاك. إذ الفكر الذي أنتج هذا المنهج وعصر أعصابه، لا بد له أن يتكلم بلغة هذه النفسية، وإلا فالضرورات العقلية المنطقية هي مفاهيم مجردة، لا بد أن تمر بقناة الإنسان لتأخذ شكلها النسبي والطبيعي.

والخطير في الأمر أن يتحول الإنسان تحت الضرورات المنطقية والعقلية، إلى أن يجعل القرآن ينطق وحده مبعداً تدخله المباشر في العملية التفسيرية، فهل القرآن يتكلم دون أن نتكلم؟ وكيف يتكلم من دون أن نباشره من خلال جدلية تفاعلية كيفما كان اتجاهها نحوه؟ وهل المنهج الذي هو عبارة عن أدوات معرفية قادر على إنطاق القرآن دون أن نكون طرفاً في الموضوع بنفسيتنا وتاريخنا وثقافتنا؟ . . .

أ- الإنسان والقرآن

يمكن أن يحسبها البعض ضرباً من التنظير الفلسفي، أو اللعب بمنطق التجريد أو تحصيل حاصل، أو العبث الذي لا طائل منه. ولكن بالتأمل يلاحظ أن عمق الإشكاليات الفكرية الدينية منبثق من هذا المعطى. إنها ببساطة إشكالية النسبية البشرية في التعامل مع القرآن، أو مع أي شيء مقدس كتباً كانت أو غير ذلك. إن غياب حقيقة عدم استيعابنا المطلق للحقائق، وإدراكنا لحقيقة أننا حلقة ضمن تاريخ

طويل كان وسيستمر في سيره إلى ما شاء الله، هو أحد أكبر الأزمات الفكرية التي مر منها الفكر الديني عموماً، حين جعل من محاولاته ومقارباته أموراً قد جاوزت القنطرة، وحقائق لا غنى للقارئ أو المريد بالتعبير الفقهي الصوفي على تقبلها والانصياع لها طوعاً وكرهاً. والتاريخ مليء بالأحداث والأمور التي تنحو هذا المنحى في المقاربات الدينية.

والخطير في ذهنية تؤمن بهذا المنطق، أنها لا تستطيع أن تنفتح على الآخر، إلا في حدود تقبله لفكرها أو مجاراته لطبيعتها. فالاختلاف عندها شعار تستعمله كطعم تتصيد به ضحايا التسلط البشري على مر العصور والحقب. وقد ظنت هذه العقلية التراثية أنها بإزاحتها لتراث روائي في قراءة القرآن، تستطيع أن تتسلط على الناس باسم القرآن، ناسية أو متناسية بأن كل عملية وكل تفاعل مع نص أو آية أو مقطع، هو تفاعل جهد إنساني مرتبط بسقف معين وبدرجة معرفية محدودة زماناً ومكاناً. ولن يستطيع أيٌّ من هذه التوجهات أن يجعل من قراءاتها نصوصاً مقدسة لا يجوز تجاوزها، إلى أبعاد أخرى بفعل التغير الزماني. وهكذا فالقرآن كما أفهمه هو حق لكل إنسان منا يفهمه وفقاً لسقفه المعرفي، ووفقاً لدرجاته الاستيعابية عبر جدلية تفاعلية معه شكاً وإيماناً وأخذاً وعطاء. ولن تتحول كل هذه المجهودات التراكمية في العمل الفكري إلى أصول وثوابت لا نستطيع بحال تجاوزها إلى غيرها.

وعليه، فإن أي اتجاه مهما حاول أن ينتسب إلى القرآن سيجد نفسه أمام اجتهادات فردية أو جماعية، لن تتحول إلى قرآن، ولو كانت تجعل منه منطلقها الوحيد. فالعلاقة مع القرآن حسب تصوري

لها لن تتأسس من خلال تيار، أو من خلال منهج بذاته مع ضرورة ذلك. وإنما العلاقة مع القرآن هي علاقة كل فرد منا في جدليته مع هذا الكتاب، أخذاً وعطاء وشكاً وإيماناً وظناً واطمئناناً. فالحق لن يعرف إلا من خلال التجربة الواقعية لكل منا في تعاطيه مع عمق هذا الكتاب. ولن تتحول اجتهادات الآخرين أو مقارباتهم باسم القرآن إلى حقائق وجودية ونفسية يتم تأطيرنا من خلالها.

ب- اللغة تعبير عن واقع

بمنطق بسيط فاللغة مهما كان الجدال الذي طرحته قديماً وحديثاً فهي مجرد وسيلة للتعبير عن الواقع بمختلف تجلياته، أما صدق ما تحمله هذه اللغة أو بطلانه فهو مرتبط بالواقع الإنساني بمستوياته المختلفة. ينسى الإنسان تحت تأثير كلمة فكر أو ثقافة منشأه وارتباطه النسبي بما يحيط به، متجاوزاً كل الأرقام والمؤشرات التي يبني عليها الإنسان فهمه للمعطيات، ويتمسك بخيوط اللغة تحت مسميات المقدس لتمرير أفكار أو مشاريع يكون لها الأثر الكبير عن المصداقية الفكرية من أساسها، بغض النظر عن التوجه الفكري أو السياسي لهذا التيار أو ذاك.

ج- التفسير النبوي وهم بصري

لا زالت الثقافة الروائية تحمل الكثير من المفاهيم المتناقضة مع البناء الذي رسمه لها واضعوها والمؤسسين لها. ويبقى السؤال مطروحاً على هذه البنية الثقافية من خلال ما تطرحه من نماذج إنسانية، ومشاريع يمكنها أن تؤسس لما قد يحلم به كل واحد منا،

مهما كان توجهه أو منطلقه الفكري. ولعل أهم معطى يحاول الدين أن يروج له من قريب أو من بعيد، هو ما يطرحه من نماذج إنسانية، عبر أنبياء وأصحاب رسالات تكون بمثابة المسوق بالمفهوم المعاصر للرسالة الهادية إلى ما ينفع الناس في أي مجتمع من المجتمعات. والناظر إلى هذه النماذج البشرية يجد فيها كل ما تعبر عنه النفس البشرية بدرجة من الدرجات من آمال أو آلام، وما يكتنف هذه الحياة لتكون موضعاً للعبور من خلالها إلى كشف السنن والقوانين، التي تحكم هذا الإنسان في تجلياته المختلفة والمعقدة بشكل كبير على الفهم المبسط لقضية في حجم ما نحن بصدده. لكن وللأسف وبسبب الإدماج الخطير في بنية العلوم الإسلامية المتأثرة بواقعها الثقافي اليهودي الحاخامي في تقسيماته للكتب المقدسة، والمشبع بثقافة الأحكام، كان هناك تمييز في المصادر الرئيسية واعتبار كل واحدة مستقلة على الأخرى، بل قد تفوقها في بعض الأحيان وتقضي عليها حسب فهمهم لطبيعة الأمور.

إن دراسة أي نص كيفما كان انتماؤه أو جنسه، لا بد لها أن تكون منطلقة من بنيته الأساسية، وأي خروج عن هذه البنية هو تحريف لهذا النص، والخروج به ليصبح موظفاً بطريقة تسمح لتمرير أفكار خارجة بالضرورة عن النص الأصلي. وما يسمى بالتفسير النبوي هو أحد أطراف هذه اللعبة الإيديولوجية التي سمحت بتمرير أفكار من حجم ما سنراه في دراستنا. ولعل الخطأ الكبير في بنية هذه المنظومة الحديثية، هي أنها التجأت للقرآن ليكون خادماً لمشروعها مهما اختلفنا في نظرتنا إلى النص القرآني، ولم تكن بأي حال من الأحوال قارئة له من خلال بنيته وسياقاته.

والقرآن نفسه يعلن في الكثير من آياته أنه لا يمكن أن يكون مجزأ إلى جزر متباعدة، إذ من شأن هذا الأمر أن يكون مدعاة للسقوط في مستنقع الأدلجة: ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ * كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ * ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾، وهذا طبيعي لأن إخراج النص عن سياقه، وقراءته في سياقات أخرى يكون بمثابة قلب المفاهيم، وتمرير ما يمكن تمريره عبر القنوات المعروفة. كما أن القرآن يعلن بأنه مبين لا يحتاج إلى بيان، فأي إقحام لعنصر آخر بحجة البيان، هو خرق للمنظومة القرآنية واتهام لها بالنقص، وإن لم يعترف المُبَيِّن بذلك.

هـ- التفسير الموضوعي بدل التجزيئي

لا بد أيضاً من الإشارة إلى شيء بالغ الأهمية قبل أن نخوض غمار هذا الموضوع. وهي مسألة لا تزال تطرح العديد من الإشكالات المنهجية في مدارسة النص القرآني. إنها إشكالية المصطلح في القرآن أو ما يسميه أبو القاسم الحاج حمد بـ «التوظيف القرآني للغة»[1]. ففهم مصطلحات القرآن يجب أن يكون فهماً موضوعياً يتجاوز النظرة التجزيئية التي طبعت التفسير بالمأثور. وذلك لا يتأتى إلا بالاحتكام إلى أسلوب القرآن نفسه على هدي التتبع الدقيق بمعهود استعماله للألفاظ والأساليب داخل سياقاتها القرآنية. وهذا يعد ضرورياً من الناحية المنهجية في مدارسة القرآن الكريم، بدل التفسير التجزيئي

(1) انظر: **العالمية الإسلامية الثانية**، 1/ 25. وهناك الكثير ممن تحدثوا عن هذه القضية ولو بأشكال مختلفة، منهم محمد باقر الصدر، وعائشة بنت الشاطئ، ومصطفى كمال مهدوي.

الذي يدرس القرآن سورة سورة، حيث يؤخذ اللفظ مجتزأ من سياقه القرآني، ويقرأ في سياقات تاريخية أو سياسية، أو مذهبية لا سبيل معها إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية للفظ.

ي- البعد الإنساني في القصص القرآني

قبل الحديث عن كيفية تناول القرآن لمسألة البيئة الاجتماعية، والوسط العائلي للسيدة مريم، أود أن ألفت الأذهان إلى قضية لا بد من ذكرها في هذا المقام، وهي أن الاتجاه الفكري الديني في مسألة التفسير، خاصة التفسير بالمأثور كان يشغله البحث عن الجزئيات وملأ الفراغات التي يتركها القرآن، متوسلاً في ذلك بجميع المعطيات والمواد التي تخوله القيام بهذه العملية. ولو كانت هذه المعطيات خارجة عن السياق القرآني، أو لا تنسجم مع مبادئه وطموحاته. وقد وجد هذا الاتجاه في التفسير مادته الخام في المادة التوراتية أو الكتابية بشكل عام. الشيء الذي غيب جانباً مهماً من العطاء القرآني، تمثل في الرؤية الإنسانية التي يحملها هذا الكتاب، وتحويها هدايته الناس جميعاً للتي هي أقوم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وقصة ولادة المسيح، وما يرتبط بها من مستلزمات، ليست بدعاً من القصص القرآنية التي نحا بها المفسرون قديماً وحديثاً عن وجهتها الإنسانية. فتحولت هذه التجربة الإنسانية الرائعة إلى جزئيات وتفاصيل ملأ بها الخيال التوراتي عقول المفسرين، فجاءت تفاسيرهم تتناغم والرؤية المسيحانية، وتنحو بالقصة إلى الوجهة الإنجيلية التوراتية التي كانت تعتمد في أساسها على ملأ الخيال بالأساطير والترهات. بدل

تقديم مقترحات من خلال هذه القصص تمتد برحابتها إلى آفاق الإنسان بأخذ العبرة، وقياس الحال على الحال، من أجل فهم أعمق للتجربة الإنسانية بمختلف تجلياتها.

*- القرآن الكريم وبيئة مريم

بعد أن تم تكوين صورة واضحة، على مختلف جوانب صورة مريم في النص الإنجيلي بمختلف مستوياته القانونية وغير القانونية، سنحاول رصد هذه الصورة من جديد من خلال القرآن ليتبين لنا بشكل واضح، كما يحق لنا طرح التساؤلات الآتية:

- هل للقرآن موقف صريح من السيدة مريم؟

- هل تم تجاهل جوانب من حياتها يمكن أن تضيء للقارئ الطريق نحو تشكيل موقف سلبي أو إيجابي منها؟.

- هل ملأ القرآن الفراغ الحاصل في الأناجيل القانونية؟

- هل يساير بشكل أو بآخر القصص الإنجيلي، وبالتالي يكون امتداداً لهذا الخط التصاعدي في مسيرة الدين.

تحدث القرآن الكريم عن مريم بثناء خالد لم تحظ به امرأة من العالمين، حيث ذكر اسمها من دون سائر النساء، وحكى قصتها فإذا هي آيات بينات تفوح منها رائحة الطهر والعفاف: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. فلا غرو إذاً أن تصبح هذه الفتاة مثلاً تحتذي به المؤمنات: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ

عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[1].

كما تحدث عن وسطها الاجتماعي، وتربيتها داخل وسط النبوة محررة لله وحده، إضافة إلى كفالة زكرياء لها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

فالآيات توضح لنا الوسط الاجتماعي الذي ترعرعت في كنفه مريم. هذا الوسط النبوي الطاهر على العالمين الذي ستصبح فيه مريم «**نبية من أنبياء الله**»، لتدخل التاريخ النبوي مسجلة اسمها بمداد الفخر والاعتزاز، وهذه مشيئة الله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[3]، والنص القرآني يؤكد هذه الدلالة، مع أن التفسير الذكوري ينفي بحجة أن النبوة في الذكور فقط. ولهذا أصبحت مريم وابنها وجهان لمعجزة واحدة: ﴿وَالَّتِي

(1) سورة التحريم، الآيتان 11-12.
(2) سورة آل عمران، الآيات 33-37.
(3) سورة الحج، الآية 75.

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ[1]. فلا يمكن بحال فصل السيدة مريم عن ابنها أو فصله عنها إلا عبثاً، فمن يؤمن بنبوته يؤمن بنبوتها، ومن يؤمن بآيته يؤمن بآيتها.

إذاً، القرآن الكريم يكشف من جديد ما هو مستور من حقيقة مريم، بتناوله أهم فترات حياتها، بدءاً من وسطها العائلي وقصة نذرها، وحسن تربيتها وسلوكها داخل مجتمعها، ليوافق بذلك الأناجيل الأبوكريفية في طرحها، ويبين المكتوم من هذه الحقائق في الأناجيل القانونية. ويكون هذا تمهيداً لما سيأتي من أمور لها خطورتها في إغفال هذا الجانب الحيوي في القصة، والذي تناغم في نسجه القرآن والأناجيل الأبوكريفية، على اختلاف توجهاتهم الفكرية والعقدية.

(1) سورة الأنبياء، الآية 91.

الفصل الثاني

اتـهام مـريـم

كما أشرنا سابقاً، فالكتمان الذي أحاطت به الأناجيل القانونية شخصية مريم، وشهادات نصوصها الملغمة بالمواقف السلبية اتجاهها، له تبعات خطيرة من شأنها أن تنسف القصة من أساسها، وبالتالي بطلان الرسالة المسيحية القائمة على ولادة المسيح المعجزة بكل تجلياتها. هذا ما سنكشف عنه من خلال هذا الفصل، ودليلنا كما هو معروف سيكون العهد الجديد ونصوصه القانونية، ناهيك بالأناجيل غير القانونية أو الأبوكريفية كما سبقت الإشارة إليه.

المبحث الأول
اتهام مريم من خلال الأناجيل القانونية

تعتبر قصة البشارة بالمولود في كل من إنجيلي متى ولوقا تمهيداً لوقوع اتهام مريم من طرف قومها. ففي إنجيل متى إص1 مق 18 يقول: «**أما ولادة يسوع فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس. فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً:**

يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. فلما استيقظ من النوم فعل كما أمره الرب، وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع».

هكذا كانت ولادة يسوع حسب النص السابق، فمريم كانت مخطوبة لشخصية اسمها يوسف، وقد وجدت حبلى قبل أن يجتمعا. ثم يذكر النص بأن الملاك يخاطبه بأن يأخذ امرأته وهو الذي ذكر في بداية النص أنها كانت مخطوبة له. والملاحظ هو هذا الحضور المكثف ليوسف باعتباره شخصية مركزية مع حضور باهت لمريم. فهي شخصية بارة لم تشأ أن تفضح مريم، وأراد التخلص منها سراً لولا تدخل الملاك وأمره بالزواج منها موضحاً السر في حملها، وتكليفه بتسمية المولود.

أما لوقا فتأتي قصة البشارة بالمولود في إنجيله 1/ 26 بعد ذكر حمل زوجة زكرياء الكاهن بيوحنا المعمدان: «**وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملك من الله على مدينة من الجليل اسمها ناصرة على عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. فدخل إليها الملك وقال: سلام عليك أيتها المنعم عليك الرب معك، مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة من الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا واسمه يسوع، وهذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى،**

ويعطيه الرب كرسي أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب على الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك: وكيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً. فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله. وهو ذا إليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنه ليس هناك شيء غير ممكن لدى الله. فقالت مريم: هو ذا أمة الرب ليكن لي كقولك، فمضى من عندها الملاك. فقامت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا، ودخلت بيت زكريا، وسلمت على أليصابات...».

إذن فرواية لوقا تؤكد أن البشارة كانت لمريم وليس ليوسف كما تزعم رواية متّى. كما تبرز المحاورة التي دارت بين الملاك ومريم بشأن البشارة، وإذعان هذه الأخيرة لأمر الملاك وامتثالها له.

ويمضي لوقا في سرد روايته إلى أن يصل إلى الإصحاح 2/ 1: **«وفي تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر أن يكتتب كل المسكونة. وهذا الاكتتاب جرى إذ كان كيرينيوس والي سوريا. فذهب الجميع ليكتتب كل واحد إلى مدينته. فصعد يوسف أيضاً الجليل من مدينة الناصرة اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى. وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد. فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود، إذ لم يكن لهما موضع في المنزل».**

وهنا يتم التركيز على شخصية يوسف وبصفة مفاجئة، وذلك عندما أصدر أغسطس قيصر بإحصاء الساكنة.

*- مقارنة بين روايتي متى ولوقا

كما مر معنا سابقاً فرواية متى تؤكد أن يوسف قد اكتشف حمل مريم في بدايته الأولى ولم يرد إشهارها، بل أراد تخليتها سراً لولا تدخل الملاك في الحلم وأمره بالتستر عليها بنقلها إلى بيت الزوجية، وتحصينها من ألسنة الناس بالزواج منها وعدم مجامعتها على فترة الولادة. فمن هو يوسف يا ترى؟. وإذا كان له هذا الحجم داخل هذه القصة عند متى، فلماذا لم يشر ولو بشكل موجز إلى طبيعة هذه الشخصية المبهمة والتي أقحمها في حياة السيدة مريم؟. أوَليس هذا الإقحام من شأنه أن يثير العديد من التساؤلات حول طهارة مريم خاصة أن شخصيتها مبهمة بالأساس في الأناجيل القانونية؟.

غير أن رواية لوقا تنحو منحى مناقضاً لرواية متى، فالبشارة كانت لها وليس ليوسف الذي لم يكن له أي دور يذكر خلال الشهور الثلاثة الأولى، التي قضتها في ضيافة أليصابات إلى حين رجوعها إلى بيتها. ثم مضت الأشهر المتبقية ويوسف ليس له أي أثر يذكر في حياة مريم. إلى أن اقترب موعد الوضع عند صدور أمر الاكتتاب، ليظهر بنحو مفاجئ وغامض. وفي كل ذلك لم تفصح رواية لوقا عن أي خطوة تذكر نحو الزواج الفعلي من مريم. ومن هنا يحق لنا أن نتساءل بناء على روايتي الميلاد عند القديسين متى ولوقا:

- لماذا لم يظهر يوسف خلال الأشهر الثلاثة ولا بعدها في حياة مريم حسب رواية لوقا؟.

- ولماذا ظلت مريم مخطوبة حتى وضعت مولودها حسب رواية لوقا، بخلاف رواية متى التي تؤكد زواجه منها؟ وهل تلقى يوسف

البشارة خلال هذه الفترة من الملاك كما زعم متى في روايته؟. وإذا كان قد تلقى بشارة فلماذا صمت عنها لوقا؟.

- وما الوقت الذي تلقى فيه البشارة؟ أبعد مرور ثلاثة أشهر كما يؤكد متى؟ أم كان ذلك في وقت متأخر عن هذه الفترة؟.

- فإن كانت البشارة في البدايات الأولى للحمل فغايتها إذاً هي تحصين مريم من ألسنة الناس، وعليه يكون لزاماً الامتثال لأمر الرب كما يذكر متى. أما إن كان قد تلقاها بعد ذلك فما الجدوى وقد صارت حديثاً للناس تتناوشها الألسنة بالاتهامات؟.

- وكيف يكون قد سترها بالزواج، وقد ظل حسب رواية لوقا حتى حان موعد وضعها خطيباً لها، الشيء الذي يؤكد بالضرورة افتضاح أمرها على رؤوس الأشهاد تتلقى الاتهام من كل حدب وصوب؟.

- وإذا كان يوسف باراً بمريم حريصاً على سمعتها كما يذكر متى فما الذي منعه من تأكيد ذلك بالزواج الفعلي حسب رواية لوقا؟ هل كان شاكاً في طهارتها؟ هل كان متردداً في أمرها؟ وإذا كان كذلك فهل يستقيم أن يكون حريصاً على اصطحابها من الجليل إلى حيث مكان الاكتتاب؟ وإذا لم يكن مرتاباً في أمرها فلم يتركها موضعاً للشكوك والظنون السيئة؟.

إذاً رغم محاولة متى التستر على «اتهام مريم»، فإن رواية لوقا تعتبر تمهيداً لوقوع الاتهام، وذلك عندما ترجع إليهم بمولودها وقد انتهت مراسيم الاكتتاب وهي لا تزال مخطوبة ليوسف. فأمر مريم قد افتضح حسب روايات الأناجيل القانونية من حيث دري أو لم يدر متى ولوقا، وبذلك تكون مريم قد تعرضت لألسنة الناس وتناوشتها

اتهاماتهم كما هو بارز من خلال قصتي الميلاد القانونيتين.

ويزداد الأمر تأكيداً ونحن نقرأ شهادات أخرى من خارج هذين الإنجيلين، تنحو منحى ما قررناه سابقاً من كون الاتهام قد حدث بالفعل. ففي إنجيل لوقا 3/ 23: «ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة، **وهو على ما كان يظن ابن يوسف**». فالناس لم يكونوا على رأي واحد في نسبة يسوع ليوسف، فالآراء متضاربة في هذا الشأن.

وفي إنجيل يوحنا 8/ 18: «أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الأب الذي أرسلني. فقالوا له: **أين هو أبوك؟**. أجاب يسوع لستم تعرفونني أنا ولا أبي؟. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً».

وفيه أيضاً 8/ 41 - 42: «أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: **إننا لم نولد من زنا**. لنا أب واحد وهو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله وأتيت. لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني».

فالنصوص تكشف أن هناك تعريضاً صريحاً بنسبة يسوع إلى الزنا. فأين هذا من الحديث عن الكتمان الذي جادت به مخيلة متى[1]؟

(1) راجع: **سر مريم** لحسني يوسف الأطير، ص 78.

المبحث الثاني
اتهام مريم من خلال الأناجيل الأبوكريفية

هل ظل الأمر مكتوماً كما زعم متى أو من سايره في طرحه؟ هذا ما سنكشف عنه النقاب من خلال الأناجيل الأبوكريفية، ولنبدأ بمحاولة تلخيص لأهم ما تعلق بموضوعنا مترجماً عن النسخة الفرنسية الموجودة على شبكة الإنترنت وذلك من خلال إنجيل ولادة مريم:

1- كتاب ولادة مريم

كان يوسف إذاً آتياً من اليهودية في الجليل، ينوي أن يتَّخذ امرأة له العذراء التي كان مخطوباً لها. فقد انقضت ثلاثة أشهر، وكان الرابع يقترب منذ الزمن الذي احتفل فيه بالخطوبة. إلا أن بطن الخطيبة وقد تضخّم شيئاً فشيئاً، بدأ يظهر أنها كانت حبلى، وما كان ممكناً أن يخفي ذلك على يوسف. فإذا دخل إلى قرب العذراء بحرية أكبر باعتباره زوجها، وتكلم بإلفة أكبر معها، لمح أنها كانت حبلى. لهذا بدأ عقله يضطرب ويرتاب، لأنه لم يكن يعلم ما عليه أن يفعل. فمن جهة، لم يُرد الوشاية بها، لأنه كان باراً، ومن جهة أخرى، التشنيع بها بطَّن الزِّنا، لأنه كان ورعاً. لهذا كان يفكِّر بفسخ زواجه سراً وردَّها خفيةً. وإذ كانت تساوره هذه الأفكار، إذا بملاك الربّ يظهر له في الحلم، قائلاً: «يا يوسف، يا ابن داود، لا تحمل أي خشية، ولا تحتفظ بأي ظنَّ زنا ضد العذراء، ولا تفكِّر بشيء مجحف في حقها،

ولا تتردّد في اتخاذها امرأة. فالمولود منها، ويعذِّب الآن عقلك، هو صنع، لا رجل، بل روح القدس. فوحدها بين كلّ العذارى، ستلد ابن الله، وستدعوه باسم يسوع، أي المخلِّص، فهو الذي سيخلِّص شعبه من خطاياهم». واتخذ يوسف إذاً العذراء امرأة، ممتثلاً لأمر الملاك؛ إلا أنه لم يعرفها، بل حافظ معها على تعفُّف كامل. وكان الشهر التاسع منذ الحبل يقترب، حين مضى يوسف إلى مدينة بيت لحم حيث أصله، آخذاً امرأته والأشياء الأخرى التي كانت ضروريةً له. والحال هذه، حدث، حين وصلوا إلى هناك، وقد تم زمن الوضع، أنها ولدت ابنها البكر، كما علَّم ذلك الإنجيليون القديسون، ربّنا يسوع المسيح، الذي، وهو الله مع الآب، والابن والروح القدس، يحيا ويملك إلى أبد الآبدين.

Chapitre 10: « Joseph donc venant de la Judée dans la Galilée avait intention de prendre pour femme la Vierge avec laquelle il était fiancé. Car trois mois s'étaient déjà écoulés, et le quatrième approchait depuis le temps que les fiançailles avaient eu lieu. Cependant le ventre de la fiancée grossissant peu à peu, il commença à se manifester qu'elle était enceinte, et cela ne put pas être caché à Joseph. Car entrant auprès de la Vierge plus librement comme étant son époux, et parlant plus familièrement avec elle, il s'aperçut qu'elle était enceinte. C'est pourquoi il commença à avoir l'esprit agité et incertain; parce qu'il ignorait ce qu'il avait à faire de mieux. Car il ne voulut point la dénoncer, parce qu'il était juste, ni la diffamer par le soupçon de fornication, parce qu'il était pieux. C'est pourquoi il pensait à rompre son mariage secrètement et à la renvoyer en cachette. Comme il avait ces pensées, voici que l'Ange du Seigneur lui apparut en songe disant: « Joseph, fils de David, n'aie aucune crainte, et ne conserve aucun soupçon

de fornication contre la Vierge, et ne pense rien de désavantageux à son sujet, et ne redoute point de la prendre pour femme. Car ce qui est né en elle, et qui tourmente actuellement ton esprit, est l'œuvre, non d'un homme, mais du Saint-Esprit, car, seule entre toutes les Vierges, elle enfantera le Fils de Dieu, et tu l'appelleras du nom de Jésus, c'est-à-dire Sauveur, car c'est lui qui sauvera son peuple de leurs péchés ». Joseph, se conformant au précepte de l'Ange, prit donc la Vierge pour femme ; cependant il ne la connut pas, mais en ayant soin chastement, il la garda. Et déjà le neuvième mois depuis la conception approchait, lorsque Joseph, ayant pris sa femme et les autres choses qui lui étaient nécessaires, s'en alla à la ville de Bethléem d'où il était. Or, il arriva, lorsqu'ils y furent, que le terme étant accompli, elle enfanta son fils premier-né, comme l'ont enseigné les Saints évangélistes, Notre-Seigneur Jésus-Christ, qui, étant Dieu avec le Père, le Fils et l'Esprit-Saint vit et règne pendant tous les siècles des siècles ».

إذاً، وحسب نص كتاب **ولادة مريم** فمريم قد تعرضت للافتضاح، وقد أراد يوسف التخلي عنها لولا تدخل الملاك وامتثال هذا الأخير لكلماته باتخاذها زوجة له.

2- إنجيل يعقوب

وَكَانَ أَنَّ مَرْيَمَ أَخَذَتِ الجَّرَّةَ وَذَهَبَتْ لِتَمْلَئَهَا بِالْمَاءِ، 2وَفَجْأَةً! سَمِعَتْ صَوْتاً: «السَّلاَمُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! 3الرَّبُّ مَعَكِ! مَبَارَكَةٌ أَنْتِ يَا مَرْيَمُ مِنْ بِيْنِ النِّسَاءِ». 4فَالْتَفَتَتْ إِلَى يَمِيْنِهَا وَإِلَى شِمَالِهَا لِتَرَ مِنْ أَيْنَ جَاءَ الصَّوْتُ! 5وَكَانَتْ مَرْعُوْبَةً جِدّاً، فَرَكَضَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَوَضَعَتِ الجَّرَّةَ جَانِباً، وَجَلَسَتْ تَنْسِجُ لِيَذْهَبَ الرُّعْبُ عَنْهَا!

وَنَظَرَتْ وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَائِلاً لَهَا: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ! لِأَنَّكِ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ وَسَتَحْمِلِيْنَ بِكَلِمَةِ اللهِ». 7فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْيَمُ كَلاَمَهُ قَالَتْ فِيْ نَفْسِهَا: «هَلْ حَقّاً سَأُنْجِبُ مِنَ اللهِ الْحَيِّ؟ وَسَتَكُوْنُ لِي عَادَةُ النِّسَاءِ؟». 8فَأَجَابَهَا الْمَلاَكُ: «لَيْسَ كَذَلِكَ يَا مَرْيَمُ، بَلْ قُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، وَالْمَوْلُوْدُ مِنْكِ يُدْعَى قِدِّيْسَ اللهِ وَابْنَ الْعَلِيِّ، وَسَتَدْعِيْنَ اِسْمَهُ يَسُوْعَ! 9لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». أَجَابَتْ مَرْيَمُ: «أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ، فَلْيَكُنْ كَمَا يَشَاءُ اللهُ».

11.1. Or elle prit sa cruche et sortit pour puiser de l'eau. Alors une voix retentit: « Réjouis-toi, pleine de grâce. Le Seigneur est avec toi. Tu es bénie parmi les femmes ».
Marie regardait à droite et à gauche: d'où venait donc cette voix ? Pleine de frayeur, elle rentra chez elle, posa sa cruche, reprit la pourpre, s'assit sur sa chaise et se remit à filer.

2. Et voici qu'un ange debout devant elle disait: « Ne crains pas, Marie, tu as trouvé grâce devant le Maître de toute chose. Tu concevras de son Verbe ».
Ces paroles jetèrent Marie dans le désarroi. « Concevrai-je, moi, du Seigneur, dit-elle, du Dieu vivant, et enfanterai-je comme toute femme?».

وَكَانَتْ مَرْيَمُ قَدْ أَكْمَلَتِ الْحِيَاكَةَ لِلْقُمَاشِ الْأُرْجُوَانِيِّ، وَأَحْضَرَتْهُمْ إِلَى الْكَاهِنِ. 2فَبَارَكَهَا الْكَاهِنُ وَقَالَ لَهَا: «الرَّبُّ قَدْ عَظَّمَ اِسْمَكِ! وَجَمِيْعُ شُعُوْبِ الْأَرْضِ تُطَوِّبُكِ».

3فَتَهَلَّلَتْ مَرْيَمُ ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلَى قَرِيْبَتِهَا أَلِيْصَابَاتُ. وَطَرَقَتِ الْبَابَ، 4وَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيْصَابَاتُ، رَمَتِ الْقُمَاشَ مِنْ يَدِهَا وَرَكَضَتْ لِتَفْتَحَ

الْبَابَ. 5وَلَمَّا رَأَتْ أَلِيْصَابَاتُ مَرْيَمَ، بَارَكَتْهَا وَقَالَتْ لَهَا: «مَنْ لِيْ أَنْ تَأْتِيْ أُمُّ رَبِّيَ إِلَيَّ؟». 6وَارْتَكَضَ الْجَنِيْنُ فِيْ بَطْنِهَا. وَنَسِيَتْ مَرْيَمُ قَوْلَ جِبْرَائِيْلَ لَهَا، وَنَظَرَتْ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ: 7«مَنْ أَنَا لِتُطَوِّبَنِي جَمِيْعُ الْأَجْيَالِ وَتُبَارِكَنِي؟».

12.1. Et elle reprit son travail de pourpre et d'écarlate puis l'apporta au prêtre.
Et quand le prêtre le reçut, il la bénit et dit: « Marie, le Seigneur Dieu a exalté ton nom et tu seras bénie parmi toutes les générations de la terre ».

2. Pleine de joie, Marie se rendit chez sa parente Elisabeth et frappa à la porte. En l'entendant, Elisabeth jeta l'écarlate, courut à la porte, ouvrit, et la bénit en ces termes: « Comment se fait-il que la mère de mon Seigneur vienne à moi ? Car vois-tu, l'enfant a tressailli et t'a bénie ».
Or Marie avait oublié les mystères dont avait parlé l'ange Gabriel. Elle leva les yeux au ciel et dit: « Qui suis-je, pour que toutes les femmes de la terre me proclament bienheureuse ? ».

3. Et elle demeura trois mois chez Elisabeth. Et de jour en jour son sein s'arrondissait. Inquiète, elle regagna sa maison et elle se cachait des fils d'Israël. Elle avait seize ans, quand s'accomplirent ces mystères..

8وَبَقِيَتْ مَعَ أَلِيْصَابَاتَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَكَانَ بَطْنُهَا يَكْبُرُ يَوْمَاً فَيَوْمَاً!
9وَكَانَتْ مَرْيَمُ خَائِفَةً فَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ، وَكَانَتْ فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ لَمَّا كَانَ هَذَا كُلُّهُ.

13هَذَا كَانَ وَتَمَّ. وَلَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ فِيْ الشَّهْرِ السَّادِسِ، رَجِعَ يُوْسُفُ مِنْ عَمَلِهِ وَدَخَلَ بَيْتَهُ، وَوَجَدَ مَرْيَمَ مُنْتَفِخَةَ الْبَطْنِ. 2فَصُعِقَ وَضَرَبَ وَجْهَهُ وَرَمَى نَفْسَهُ عَلَى الْبِسَاطِ الْمَصْنُوْعِ مِنْ صُوْفِ الْجَمَلِ. 3وَبَكَى بِمَرَارَةٍ قَائِلاً: «بِأَيِّ وَجْهٍ سَأَنْظُرُ لِبَنِيْ إِسْرَائِيْلَ؟ وَأَيُّ صَلاَةٍ أَقُوْلُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ؟ 4لَقَدِ اِسْتَلَمْتُهَا مِنَ الْهَيْكَلِ عَذْرَاءَ وَلَمْ أُحَافِظْ عَلَيْهَا! 5مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ وَمَنْ نَجَسَّهَا مِنْ فِعْلِ هَذَا الشَّرِّ الْعَظِيْمِ فِيْ بَيْتِيَ؟ وَنَجَّسَ الْعَذْرَاءَ؟ 6أَوَلَيْسَتْ قِصَّةُ آدَمَ تَحْصُلُ لِيَ؟ لِأَنَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ فِيْهِ يَشْكُرُ اللهَ، عَادَ وَرَأَى أَنَّ الْحَيَّةَ قَدْ أَغْوَتِ اِمْرَأَتَهُ. كُلُّ هَذَا يَحْصُلُ لِيْ!

7وَقَفَ يُوْسُفُ عَنِ الْأَرْضِ وَاِسْتَدْعَى مَرْيَمَ وَقَالَ لَهَا: «أَنْتِ مَنْ تَرَعْرَعْتِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ الْإِلَهِ! لِمَاذَا فَعَلْتِ هَذَا وَنَجَّسْتِ نَفْسَكِ؟ 8لِمَاذَا اِحْتَقَرْتِي رُوْحَكِ؟ أَلَمْ تَتَرَبَّي كَحَمَامَةٍ فِي قُدْسِ الْأَقْدَاسِ؟ 9أَوَلَمْ تَتَنَاوَلِي الطَّعَامَ مِنْ يَدِ الْمَلاَكِ؟».

10فَبَكَتْ مَرْيَمُ بِحَرْقَةٍ وَقَالَتْ: «أَنَا طَاهِرَةٌ وَلَمْ أَعْرِفْ رَجُلاً!». 11فَأَجَابَ يُوْسُفُ: «إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَمَا هَذَا الَّذِي فِيْ بَطْنِكِ؟». 12فَقَالَتْ لَهُ: «حَيٌّ هُوَ اللهُ! أَنَا لاَ أَعْرِفُ كَيْفَ حَصَلَ!».

12.3. Et elle demeura trois mois chez Elisabeth. Et de jour en jour son sein s'arrondissait. Inquiète, elle regagna sa maison et elle se cachait des fils d'Israël. Elle avait seize ans, quand s'accomplirent ces mystères.

13.1. Son sixième mois arriva, et voici que Joseph revint des chantiers; il entra dans la maison et s'aperçut qu'elle était enceinte. Et il se frappa le visage et se jeta à terre sur son sac

et il pleura amèrement, disant: « Quel front lèverai-je devant le Seigneur Dieu ? Quelle prière lui adresserai-je ? Je l'ai reçue vierge du temple du Seigneur et je ne l'ai pas gardée. Qui m'a trahi ? Qui a commis ce crime sous mon toit ? Qui m'a ravi la vierge et l'a souillée ? L'histoire d'Adam se répète-t-elle à mon sujet ? Car tandis qu'Adam faisait sa prière de louange, le serpent s'approcha et surprit Eve seule ; il la séduisit et la souilla. La même disgrâce me frappe ».

2. Et Joseph se releva de son sac et appela Marie: « Toi la choyée de Dieu, qu'as-tu fait là ? As-tu oublié le Seigneur ton Dieu ? Pourquoi t'es-tu déshonorée, toi qui as été élevée dans le Saint des Saints et as reçu nourriture de la main d'un ange?».

3. Et elle pleura amèrement, disant: « Je suis pure et je ne connais pas d'homme ». Et Joseph lui dit: « D'où vient le fruit de ton sein ? » Et elle répondit: « Aussi vrai que vit le Seigneur mon Dieu, j'ignore d'où il vient ».

وَكَانَ يُوسُفُ خَائِفاً جِدّاً وَأَرَادَ تَخْلِيَتَهَا وَتَفَكَّرَ مَاذَا عَسَاهُ أَنْ يَفْعَلَ لَهَا؟ 2لِأَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَخْفَيْتُ خَطِيْئَتَهَا سَأَكُوْنُ ضِدَّ النَّامُوْسِ. 3وَإِذَا أَعْلَنْتُهَا لِبَنِي إِسْرَائِيْلَ بِأَنَّهَا حُبْلَى مِنَ الْمَلاَكِ سَأَكُوْنُ قَدْ قَدَّمْتُ نَفْساً لِتُرْجَمَ، مَاذَا أَفْعَلُ؟ سَأُخْلِيْهَا سِرّاً».

4وَمَرَّتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ، وَنَظَرَ فَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي الْحُلُمِ قَائِلاً: 5«لاَ تَخَفْ يَا يُوْسُفَ! لِأَنَّ الْوَلَدَ الَّذِي حُمِلَ بِهِ هُوَ مِنَ الرُّوْحِ الْقُدُسِ، وَسَتَلِدُ اِبْنَا وَتَدْعُو اِسْمَهُ يَسُوْعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». 6فَاسْتَيْقَظَ يُوْسُفُ مِنَ النَّوْمِ، وَمَجَّدَ إِلَهَ إِسْرَائِيْلَ الَّذِيْ صَنَعَ

هَذِهِ النِّعْمَةَ لَهَا، وَكَانَ يَهْتَمُّ بِهَا».

14.1. Et Joseph, rempli de frayeur, se tint coi, et il se demandait ce qu'il devait faire d'elle. « Si je garde le secret sur sa faute, se disait-il, je contreviendrai à la loi du Seigneur. Mais si je la dénonce aux fils d'Israël, et que son enfant vienne d'un ange, ce dont j'ai bien peur, alors je livre à la peine capitale un sang innocent. Que ferai-je d'elle ? Je la répudierai en secret ».
La nuit le surprit dans ces réflexions.

2. Et voici qu'un ange du Seigneur lui apparut en songe, disant: « Ne t'inquiète pas à propos de cette enfant. Ce qui est en elle vient de l'Esprit saint. Elle t'enfantera un fils auquel tu donneras le nom de Jésus. Car il sauvera son peuple de ses péchés ». Joseph se réveilla et glorifia le Dieu d'Israël qui lui avait donné sa grâce. Et il garda la jeune fille.

15جَاءَ حَنَانِيَا الْكَاتِبُ لِبَيْتِ يُوْسُفَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟ وَلِمَاذَا لاَ تَظْهَرُ بَيْنَ الْمَجْمُوْعَةِ؟» 2فَقَالَ لَهُ يُوْسُفَ: «كُنْتُ تَعْبَانَاً مِنْ رِحْلَتِي، وَقَدِ اِسْتَرَحْتُ فِيْ الْيَوْمِ الأَوَّلِ». 3وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، رَأَى الْكَاتِبُ أَنَّ مَرْيَمَ حُبْلَى!

4فَرَكَضَ الْكَاتِبُ مُسْرِعَاً إِلَى رَئِيْسِ الْكَهَنَةِ بِأَنَّ يُوْسُفَ الْمَشْهُوْدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، قَدْ أَخْطَأَ خَطِيْئَةً عَظِيْمَةً. 5فَقَالَ الْكَاهِنُ: «كَيْفَ؟! وَمَتَى؟». فَأَجَابَ الْكَاتِبُ: «إِنَّ الْعَذْارَءَ الَّتِي أَخَذَهَا وَدِيْعَةً مِنْ هَيْكَلِ الرَّبِّ، وُجِدَتْ حُبْلَى!، وَقَدْ دَنَّسَهَا قَبْلَ زَوَاجِهَا وَلَمْ يُعْلِنْهَا لِبَنِيْ إِسْرَائِيْلَ!». 6أَجَابَ الْكَاهِنُ: «هَلْ فَعَلَ يُوْسُفُ هَذَا؟». فَقَالَ الْكَاتِبُ: «أَيُّهَا الْكَاهِنُ! فَلْتُرْسِلِ الْجُنُوْدَ وَسَيَرَوا أَنَّهَا حُبْلَى». 7فَذَهَبَ الْجُنُوْدُ وَوَجَدُوا

مَا قَالَهُ الْكَاتِبُ. وَأَحْضَرُوْهَا مَعَ يُوْسُفَ لِمَكَانِ الْمُحَاكَمَةِ.

محاكمة مريم ويوسف

8فَقَالَ الْكَاهِنُ: «مَرْيَمُ! لِمَاذَا فَعَلْتِ ذَلِكَ وَدَنَّسْتِ جَسَدَكِ؟ وَنَسِيْتِي الرَّبَّ إِلَهَكِ؟ 9أَلَمْ تَتَرَبَّيْ فِي الْهَيْكَلِ كَحَمَامَةٍ فِيْ قُدْسِ الْأَقْدَاسِ؟ 10وَكُنْتِ تَتَنَاوَلِيْنَ الطَّعَامَ مِنْ يَدِ الْمَلاَكِ؟ وَكُنْتِ تَسْمَعِيْنَ التَّرَانِيْمَ الإِلَهِيَّةَ؟ 11وَتَرْقُصِيْنَ أَمَامَ الرَّبِّ؟ لِمَاذَا فَعَلْتِ هَذَا يَا مَرْيَمُ؟» 12فَبَكَتْ بِشِدَّةٍ وَقَالَتْ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ! إِنَّنِي طَاهِرَةٌ أَمَامَهُ وَلاَ أَعْرِفُ رَجُلاً».

13وَالْتَفَتَ الْكَاهِنُ إِلَى يُوْسُفَ وَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا فَعَلْتَ هَذَا؟» 14فَقَالَ يُوْسُفُ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهِيَ! أَنَا طَاهِرٌ وَبَرِيْءٌ». 15فَقَالَ لَهُ الْكَاهِنُ: «لاَ تَشْهَدْ بِالزُّوْرِ! بَلْ قُلِ الْحَقَّ! أَلَمْ تُنَجِّسْهَا وَتَسْلِبْ عُذْرِيَّتَهَا وَلَمْ تُعْلِنْهَا لِشَعْبِ إِسْرَائِيْلَ؟ أَلَمْ تَسْجُدْ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ وَيَدُ الرَّبِّ عَلَيْكَ؟».

تشريب ماء اللعنة

16 وَقَالَ لَهُمُ الْكَاهِنُ: «اِحْفَظُوْهَا عِنْدَكُمْ هِيَ وَالْعَذَارَى الَّذِيْنَ أَخَذْتُمْ مِنَ الْهَيْكَلِ!». 2وَكَانَ يُوْسُفُ مُنْهَاراً مِنَ النَّحِيْبِ. فَقَالَ الْكَاهِنُ: 3«سَأُعْطِيْكَ أَنْ تَشْرَبَ مِنْ مَاءِ اللَّعْنَةِ الْمُرِّ وَسَتَكُوْنُ خَطِيْئَتُكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ!».

4ثُمَّ أَخَذَ الْكَاهِنُ مِنْ مَاءِ اللَّعْنَةِ وَأَعْطَى يُوْسُفَ لِيَشْرَبَ. 5وَأَرْسَلَهُ إِلَى مُرْتَفَعِ الْبَلْدَةِ ثُمَّ عَادَ. وَأَعْطَى أيضاً لِمَرْيَمَ مِنْ مَاءِ اللَّعْنَةِ لِتَشْرَبَ.

6ثُمَّ أَرْسَلَهَا أيضاً إِلَى الْمُرْتَفَعِ، فَعَادَتْ سَالِمَةً. فَتَعَجَّبَ النَّاسُ لِأَنَّ خَطِيْئَةَ مَاءِ اللَّعْنَةِ لَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِمَا.

إظهار براءة البارّان

7فَقَالَ الْكَاهِنُ: «إِذَا كَانَ اللهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ تَظْهَرَ عَلَيْهِمَا اللَّعْنَةُ، فَأَنَا أيضاً كَذَلِكَ لَنْ أُدِيْنَهُمَا وَسَأُطْلِقُهُمَا». 8وَذَهَبَ يُوْسُفُ وَمَرْيَمُ إِلَى بَيْتِهِمَا وَهُمْ يُهَلِّلُوْنَ وَيُمَجِّدُوْنَ اللهَ إِلَهَ إِسْرَائِيْلَ!.

الاكتتاب

17 وَكَانَ أَنَّ أُغُسْطُسَ أَصْدَرَ أَمْرَاً بِالاِكْتِتَابِ لِجَمِيْعِ سُكَّانِ بَيْتِ لَحْمَ الْيَهُوْدِيَّةِ بِأَنْ يَكْتَتِبُوا، 2فَقَالَ يُوْسُفُ: «سَأُسَجِّلُ أَبْنَائِيَ، وَلَكِنْ مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذِهِ الطِّفْلَةِ؟ كَيْفَ أُسَجِّلُهَا كَزَوْجَةٍ لِي؟ 3لاَ! يَا لِلْعَارِ! أَوْ كَابْنَتِي؟ وَلَكِنْ كُلُّ شَعْبِ إِسْرَائِيْلَ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ اِبْنَتِي، 4لَعَلَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ حَلاًّ لِلْمُشْكِلَةِ».

15.1. Or le scribe Anne vint le voir et lui dit: « Joseph, pourquoi n'as-tu point paru à notre réunion ?
- Mon voyage m'avait fatigué, répondit-il, et j'ai passé le premier jour à me reposer ». Mais Anne se retourna et vit Marie enceinte.

2. Et il partit en courant chez le prêtre et lui dit: « Eh bien, ce Joseph dont tu te portes garant, a commis une faute ignoble.
- Quoi donc ? » demanda le grand-prêtre. L'autre reprit: « Il a déshonoré la jeune fille que le temple du Seigneur lui avait confiée et il l'a épousée secrètement, sans avertir les fils d'Israël ! » Et le grand-prêtre lui dit: « Joseph a-t-il fait cela ? »

Et l'autre répondit: « Envoie tes gens et tu verras que la jeune fille est enceinte ». Des serviteurs partirent et la trouvèrent dans l'état qu'il avait dit. Ils la ramenèrent au temple et elle comparut au tribunal.

3. Le grand-prêtre lui dit: « Marie, qu'as-tu fait là ? Pourquoi as-tu perdu ton honneur ? As-tu oublié le Seigneur ton Dieu, toi qui fus élevée dans le Saint des Saints et qui reçus nourriture de la main des anges ? Toi qui entendis leurs hymnes et dansas devant eux ? Qu'as-tu fait là ? »

Et elle pleura amèrement et dit: « Aussi vrai que vit le Seigneur Dieu, je suis pure devant sa face et ne connais pas d'homme ».

4. Et le grand-prêtre dit: « Et toi, Joseph, qu'as-tu fait ? » Et Joseph répondit: « Aussi vrai que vit le Seigneur et que vivent son Christ et le témoin de sa vérité, je suis pur vis-à-vis d'elle ». Le grand-prêtre insista: « Ne rends pas de faux témoignage ! Dis la vérité ! Tu l'as épousée en cachette, tu n'as rien dit aux fils d'Israël et tu n'as pas incliné ta tête sous la puissante main qui eût béni ta postérité ! » Et Joseph garda le silence.

16.1. Le grand-prêtre reprit: « Rends-nous la jeune fille que tu avais reçue du temple du Seigneur ». Joseph fondit en larmes. Le grand-prêtre ajouta: « Je vous ferai boire l'eau de l'épreuve rituelle et votre faute éclatera à vos yeux ».

2. Le grand-prêtre prit de l'eau, en fit boire à Joseph puis il l'envoya au désert. Or celui-ci revint indemne. Et il fit boire aussi la jeune fille et l'envoya au désert. Et elle redescendit, indemne. Et tout le peuple s'étonna que leur faute n'eût pas été manifestée.

3. Alors le grand-prêtre dit: « Puisque le Seigneur Dieu n'a pas révélé de péché en vous, moi non plus je ne vous condamne pas ». Et il les laissa partir. Et Joseph prit Marie et rentra chez lui, heureux et louant le Dieu d'Israël.

17.1. Il parut un édit du roi Auguste qui invitait tous les habitants de Bethléem en Judée, à se faire recenser. Et Joseph dit: « J'irai inscrire mes fils. Mais que faire avec cette enfant ? Comment la recenser ? Comme ma femme ? Je ne puis décemment. Comme ma fille ? Mais les fils d'Israël savent que je n'ai pas de fille. Qu'en ce jour donc, le Seigneur en décide à son gré ».

المسير إلى بيت لحم

5فَقَامَ يُوْسُفُ وَوَضَعَ سِرْجاً عَلَى الْحِمَارِ وَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ، 6وَكَانَ
اِبْنُهُ يَجُرُّ الْحِمَارِ وَيُوسُفُ يَمْشِيْ خَلْفَهُمْ. 7وَلَمَّا اِقْتَرَبُوا مِنْ بَيْتِ لَحْمَ
بِثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ، تَطَلَّعَ يُوْسُفُ إِلَى مَرْيَمَ فَرَآهَا حَزِيْنَةً، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:
8«لَعَلَّ الرِّحْلَةَ أَتْعَبَتْهَا وَأَلَّمَتْهَا» وَاِلْتَفَتَ مَرَّةً ثَانِيَةً فَرَآهَا تَضْحَكُ،
9فَسَأَلَهَا: «مَا بِكِ يَا مَرْيَمُ؟ أَرَاكِ حَزِيْنَةً وَسَعِيْدَةً». فَأَجَابَتْ مَرْيَمُ
وَقَالَتْ: 10«لِأَنِّي أَرَى شَخْصَيْنِ أَمَامَ عَيْنَايَ، الْأَوَّلُ يَبْكِي وَيَنُوْحُ،
وَالثَّانِي يُهَلِّلُ وَيُمَجِّدُ!».

اقتراب الولادة

11وَعِنْدَمَا وَصَلُوا لِوَسَطِ الطَّرِيْقِ قَالَتْ لَهُ مَرْيَمُ: «أَنْزِلْنِي يَا يُوْسُفَ
فَإِنَّ آلاَمَ الْوِلاَدَةِ قَدْ حَانَتْ!» 12فَأَنْزَلَهَا وَقَالَ: «أَيْنَ أَضَعُهَا؟ وَلأَيْنَ
آخُذُهَا لِأُخْفِيْ هَذَا الْعَارَ وَنَحْنُ فِيْ وَسَطِ الصَّحْرَاءِ؟».

توقف الزمن

18 وَوَجَدَ مَغَارَةً بِالْقُرْبِ مِنْهُمَا، فَأَدْخَلَهَا إِلَيْهَا وَجَعَلَ وَلَدَيْهِ مَعَهَا
وَذَهَبَ لِيُفَتِّشَ عَنْ قَابِلَةٍ بَيْنَ الْعِبْرَانِيِّيْنَ فِيْ بَيْتِ لَحْمَ. 2«وَبَيْنَمَا أَنَا
يُوْسُفُ كُنْتُ أَمْشِي وَلَمْ أَكُنْ أَمْشِي، شَخَصْتُ بِعَيْنَيَّ إِلَى السَّمَاءِ،
3فَرَأَيْتُ قُبَّةَ السَّمَاءِ وَاقِفَةً وَطُيُوْرُ السَّمَاءِ تَرْتَعِدُ. ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى
الْأَرْضِ، 4فَرَأَيْتُ قَصْعَةً مَوْضُوْعَةً وَالْعَمَلَةُ جَالِسِيْنَ وَأَيْدِيْهِمْ فِي
الْقَصْعَةِ. 5فَالَّذِيْنَ كَانُوا يَتَنَاوَلُوْنَ الطَّعَامَ لَمْ يَتَنَاوَلُوْهُ. وَالَّذِيْنَ كَانُوا
يَضَعُوْنَهُ فِي أَفْوَاهِهِمْ لَمْ يَضَعُوْهُ، بَلْ كَانَتْ وُجُوْهُهُمْ جَمِيْعاً مُرْتَفِعَةً إِلَى
فَوْقٍ. 6وَرَأَيْتُ غَنَماً مَسُوْقَةً وَقَدْ وَقَفَتْ، فَرَفَعَ الرَّاعِي يَدَهُ لِيَضْرِبَهَا،
فَوَقَفَتْ يَدُهُ مَرْفُوْعَةً. 7ثُمَّ حَوَّلْتُ نَظَرِيْ إِلَى مَجْرَى مَاءٍ، فَرَأَيْتُ بَعْضَ
الْجِدَاءِ، 8وَكَانَتْ أَفْوَاهُهَا مُرْتَفِعَةً فَوْقَ الْمَاءِ وَلَمْ تَشْرَبْ. 9فَنَظَرْتُ أَنَّ
كُلَّ شَيْءٍ كَانَ فِي غَايَةِ الدَّهْشَةِ، وَفَجْأَةً! كُلُّ الْأَشْيَاءِ عَادَتْ إِلَى حَرَكَتِهَا
السَّابِقَةِ».

العثور على قابلة

19 وَإِذَا بِامْرَأَةٍ نَازِلَةٍ مِنَ الْمُرْتَفَعِ وَقَالَتْ لِيْ: «أَيُّهَا الرَّجُلُ! عَمَّا
تَبْحَثُ؟». 2فَقُلْتُ لَهَا: «أَطْلُبُ قَابِلَةً مِنَ الْعِبْرَانِيِّيْنَ!». 3فَقَالَتْ لِيْ:
«هَلْ أَنْتَ مِنَ الْإِسْرَائِيْلِيِّيْنَ؟» فَقُلْتُ: «نَعَمْ». فَقَالَتْ: «وَمَنِ الَّتِي
تُرِيْدُنِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهَا فِيْ الْكَهْفِ؟». 4فَقُلْتُ لَهَا: «إِنَّهَا خَطِيْبَتِي!».
فَقَالَتْ لِي: «لَيْسَتْ زَوْجَتَكَ بَعْدُ؟». 5فَقُلْتُ لَهَا: «إِنَّهَا مَرْيَمُ الَّتِي
تَرَبَّتْ فِي قُدْسِ الْأَقْدَاسِ وَأَخَذْتُهَا اِمْرَأَةٌ بِالْقُرْعَةِ، 6وَهِيَ لَيْسَتْ
زَوْجَتِي، بَلْ هِيَ حُبْلَى مِنَ الرُّوْحِ الْقُدُسِ!». 7فَقَالَتِ الْقَابِلَةُ لَهُ هَلْ

تَقُوْلُ الْحَقِيْقَةَ؟». فَقُلْتُ لَهَا أَنَا يُوْسُفُ: «تَعَالَيْ وَانْظُرِيْ!».

معجزة الولادة العظيمة

8وَذَهَبَتِ الْقَابِلَةُ مَعِيْ، وَوَقَفْنَا نَاحِيَةَ الْكَهْفِ، وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ سَحَابَةٌ وَظَلَّلَتِ الْكَهْفَ. 9فَقَالَتِ الْقَابِلَةُ: «تُعَظِّمُ نَفْسِيَ هَذَا الْيَوْمَ، لِأَنَّ عَيْنَيَّ نَظَرَتَا أَعَاجِيْبَ! لِأَنَّ فِدَاءً وُلِدَ لِإِسْرَائِيْلَ!». 10وَتَلاَشَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْكَهْفِ، وَإِذَا بِنُوْرٍ عَظِيْمٍ دَاخِلَ الْكَهْفِ، 11وَلَمْ تَسْتَطِعْ عُيُوْنُنَا أَنْ تَنْظُرَهُ! وَشَيْئاً فَشَيْئاً بَدَأَ النُّوْرُ يَتَلاَشَى حَتَّى خَرَجَ الْوَلَدُ وَبَدَأَ يَأْخُذُ ثَدِيَّ مَرْيَمَ، 12فَبَكَتِ الْقَابِلَةُ بِصَوْتٍ عَظِيْمٍ قَائِلَةً: «أَعْظَمُ الْأَيَّامِ هَذَا الْيَوْمُ لِأَنَّنِي نَظَرْتُ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ» وَتَقْصِدُ الْوِلاَدَةَ الْعَجِيْبَةَ!».

إعلام سالومي بولادة العذراء

13وَبَعْدَهَا تَرَكَتِ الْقَابِلَةُ الْكَهْفَ، وَقَابَلَتْهَا سَالُوْمِي، فَقَالَتِ الْقَابِلَةُ: «سَالُوْمِي! سَالُوْمِي! سَأُخْبِرُكِ بِحَادِثَةٍ عَظِيْمَةٍ! عَذْرَاءُ أَنْجَبَتْ وَمَا زَالَتْ عَذْرَاءَ!». 14فَقَالَتْ سَالُوْمِي: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ! إِذَا لَمْ أَرَ بِنَفْسِي لَنْ أُصَدِّقَ بِأَنَّ عَذْرَاءَ قَدْ أَنْجَبَتْ!».

شك سالومي سبب علة يدها

20 أَمَّا الْقَابِلَةُ، فَذَهَبَتْ إِلَى مَرْيَمَ وَقَالَتْ لَهَا: «أَظْهِرِيْ نَفْسَكِ! فَإِنَّ هُنَاكَ جِدَالٌ بَسِيْطٌ حَوْلَكِ». 2وَقَامَتْ سَالُوْمِي وَأَدْخَلَتْ إِصْبَعَهَا، ثُمَّ بَدَأَتْ بِالْبُكَاءِ، وَقَالَتْ: 3«الْوَيْلُ لِيْ لِقِلَّةِ إِيْمَانِي وَعَدَمِ تَصْدِيْقِي! لِأَنَّنِي جَرَّبْتُ الْإِلَهَ الْحَيَّ! 4وَآسَفَاهُ! لِأَنَّ يَدِيْ سَقَطَتْ عَنِّيْ وَاحْتَرَقَتْ كَمَا فِي النَّارِ».

توسل سالومي للرب

5وَرَكَعَتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا لِلرَّبِّ الْإِلَهِ وَقَالَتْ: «يَا اللهُ! يَا إِلَهَ آبَائِيَ!
تَذَكَّرْ أَنَّنِي مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ! 6لاَ تَجْعَلْنِي مَثَلاً بَيْنَ
شَعْبِ إِسْرَائِيْلَ! وَلَكِنْ اِحْفَظْنِي لِمَذَلَّتِي! 7أَنْتَ الْعَالِمُ! بِاسْمِكَ يَكُوْنُ
لِيْ شِفَاءٌ، وَبِكَ تُقْبَلُ الْمُكَافَأَةُ!».

شفاء يد سالومي

8وَإِذَا بِمَلاَكِ الرَّبِّ ظَهَرَ لَهَا قَائِلاً: «سَالُوْمِي! سَالُوْمِي! لَقَدْ سَمِعَ
الرَّبُّ صَلاَتَكِ! 9قُوْمِي اِحْمِلِي الطِّفْلَ! لِأَنَّ بِهِ الْبَهْجَةَ وَالْخَلاَصَ».
9فَقَامَتْ سَالُوْمِي وَحَمَلَتِ الطِّفْلَ قَائِلَةً: «سَأَتَعَبَّدُ لَهُ! لِأَنَّهُ مَلِكٌ
عَظِيْمٌ قَدْ وُلِدَ لِإِسْرَائِيْلَ!». 10وَفَجْأَةً! كَانَتْ يَدُ سَالُوْمِي قَدْ بَرَأَتْ.
11وَخَرَجَتْ مِنَ الْكَهْفِ مَغْبُوْطَةً جِدّاً وَإِذَا بِصَوْتٍ يَقُوْلُ لَهَا: «سَالُوْمِي!
سَالُوْمِي! لاَ تُخْبِرِي أَحَداً بِمَا رَأَيْتِي حَتَّى تَرَيْنَ الْوَلَدَ يَدْخُلُ أُوْرَشَلِيْمَ».

قدوم المجوس إلى بيت لحم

21 ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كَانَ يُوْسُفُ قَدْ تَهَيَّأَ لِلذَّهَابِ إِلَى الْيَهُوْدِيَّةِ.
2وَحَدَثَ أَنْ قَامَتْ فِتْنَةٌ فِي بَيْتِ لَحْمَ الْيَهُوْدِيَّةِ، لِأَنَّهُ أَتَى ثَلاَثَةُ مَجُوْسٍ
إِلَى هُنَاكَ قَائِلِيْنَ: 3«أَيْنَ الْمَوْلُوْدُ مَلِكُ الْيَهُوْدِ؟ لِأَنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِيْ
الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ».

تحري هيرودس حول المسيح

4وَلَمَّا سَمِعَ هِيْرُوْدُسَ الْخَبَرَ، اِرْتَعَبَ وَأَرْسَلَ جُنْدَهُ لِلْمَجُوْسِ
لِيَسْتَخْبِرُوا مِنْهُمْ. 5وَأَرْسَلَ آخَرِيْنَ إِلَى الْكَهَنَةِ لِيَعْرِفَ الْمَكْتُوْبَ عَنِ

الْمَسِيْحِ، وَأَيْنَ يُوْلَدُ. 6فَقَالُوا لَهُمْ: «فِي بَيْتِ لَحْمَ الْيَهُوْدِيَّةِ هَذَا الْمَكْتُوْبُ». وَتَرَكُوْهُمْ وَمَضُوا. 7وَسَأَلُوا الْمَجُوْسَ عَنْ كَلاَمِهِمْ. فَقَالُوا: «رَأَيْنَا نَجْمَةً فِيْ الْمَشْرِقِ، وَكَانَتْ تَلْمَعُ جِدَّاً، 8وَعَرَفْنَا أَنَّ مَلِكَاً لإِسْرَائِيْلَ قَدْ وُلِدَ». فَقَالَ هِيْرُوْدُسَ: 9«اِذْهَبُوا وَتَأَكَّدُوا مِنْ هَذَا وَمَتَى عَرَفْتُمْ، أَخْبِرُوْنِي لِآتِي أَنَا أيضاً وَأَسْجُدَ لَهُ».

العثور على المولود

10وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ الْمَجُوْسُ، وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِيْ الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى وَقَفَ فَوْقَ الْكَهْفِ الَّذِي فِيْهِ الْوَلَدُ. 11وَلَمَّا كَانَ هَذَا فَرِحُوا جِدَّاً وَدَخَلُوا وَرَأُوا الصَّبِيَّ مَعَ أُمِّهِ مَرْيَمَ، 12وَفَتَحُوا كُنُوْزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ ذَهَبَاً وَمُرَّاً وَلِبَانَاً».

13وَكَانَ أَنَّ الْمَلاَكَ حَذَّرَهُمْ أَنْ لاَ يَعُوْدُوا إِلَى الْيَهُوْدِيَّةِ، بَلْ يَذْهَبُوا إِلَى بِلاَدِهِمْ عَنْ طَرِيْقٍ آخَرٍ.

أمر هيرودس بذبح الأطفال

22 لَمَّا عَرَفَ هِيْرُوْدُسَ بِأَنَّ الْمَجُوْسَ قَدْ سَخِرُوا مِنْهُ، 2أَمَرَ بِذَبْحِ كُلِّ الأَطْفَالِ مِنْ سِنِّ السَّنَتَيْنِ وَمَا دُوْنَ بِحَسَبِ مَا عَلِمَهُ مِنَ الْمَجُوْسِ.

تخبئة يسوع ويوحنا

3وَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْيَمُ أَنَّهُمْ يَذْبَحُوْنَ الأَطْفَالَ، أَخَذَتِ الصَّبِيَّ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِيْ الْمِذْوَدِ لِلْبَقَرِ. 4وَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيْصَابَاتُ أَنَّهُمْ يَبْحَثُوْنَ عَنْ يُوْحَنَّا، 5قَامَتْ فَهَرَبَتْ إِلَى مُرْتَفَعَاتِ الْيَهُوْدِيَّةِ لِتُخَبِّئَهُ هُنَاكَ! 6فَلَمْ تَجِدْ مَكَانَاً وَلَمْ يَعُدْ لَدَيْهَا الْقُدْرَةُ عَلَى الاِسْتِمْرَارِ، 7فَصَرَخَتْ

بِصَوْتٍ عَظِيْمٍ قَائِلَةً: «أَيَّتُهَا الجِّبَالُ وَالآكَمُ يَا جِبَالَ اللهِ مِنْ أُمٍّ وَطِفْلٍ»
8فَإِذَا بِجَبَلٍ قَدِ شُقَّ وَأَخَذَ أَلْيَصَابَاتَ وَالْوَلَدَ دَاخِلَهُ ثُمَّ عَادَ كَمَا كَانَ.
9وَكَانَ هُنَاكَ نُوْرٌ يُشْرِقُ عَلَيْهِمْ وَمَلاَكٌ مِنَ الرَّبِّ يَحْرُسُهُم.[1]

2. Et il sella son âne et la jucha dessus. Son fils tirait la bride et Samuel suivait. Et ils entamaient le troisième mille quand Joseph se retourna et la vit fort rembrunie. « L'enfant qu'elle porte, pensa-t-il, doit la faire souffrir ». Il se tourna une nouvelle fois et vit qu'elle riait. Il lui dit: « Marie, qu'as-tu donc ? Je vois tour à tour joie et tristesse sur ton visage ». Et elle lui dit: « Joseph, deux peuples sont sous mes yeux. L'un pleure et se frappe la poitrine, l'autre danse et fait la fête ».

3. Ils étaient à mi-chemin, quand Marie lui dit: « Joseph, aide-moi à descendre de l'âne. L'enfant, en moi, me presse et va naître ». Il lui fit mettre pied à terre et lui dit: « Où t'emmener? Où abriter ta pudeur ? L'endroit est à découvert ».

18.1. Mais il trouva là une grotte, l'y conduisit et la confia à la garde de ses fils. Puis il partit chercher une sage-femme juive dans le pays de Bethléem. [Il en trouva une qui descendait de la montagne et il l'amena.]

2. « Or moi, Joseph, je me promenais et ne me promenais pas. Et je levai les yeux vers la voûte du ciel et je la vis immobile, et je regardai en l'air et je le vis figé d'étonnement. Et les oiseaux étaient arrêtés en plein vol. Et j'abaissai mes yeux sur la terre et je vis une écuelle et des ouvriers étendus pour le

(1) الترجمة مأخوذة من الرابط الآتي: http://www.ebnmaryam.com/vb/t186132.html

repas, et leurs mains demeuraient dans l'écuelle. Et ceux qui mâchaient ne mâchaient pas et ceux qui prenaient de la nourriture ne la prenaient pas et ceux qui la portaient à la bouche ne l'y portaient pas. Toutes les faces et tous les yeux étaient levés vers les hauteurs.

3. Et je vis des moutons que l'on poussait, mais les moutons n'avançaient pas. Et le berger levait la main pour les frapper, et sa main restait en l'air. Et je portai mon regard sur le courant de la rivière et je vis des chevreaux qui effleuraient l'eau de leur museau, mais ne la buvaient pas.

Soudain la vie reprit son cours.

19.1. Et je vis une femme qui descendait de la montagne et elle m'interpella: « Eh, l'homme, où vas-tu ? » Je répondis: « Je vais chercher une sage-femme juive. - Es-tu d'Israël ? me demanda-t-elle encore. - Oui », lui dis-je. Elle reprit: « Et qui donc est en train d'accoucher dans la grotte ? ».

[Et Joseph dit à la sage-femme: « C'est Marie, ma fiancée; mais elle a conçu de l'Esprit saint, après avoir été élevée dans le temple du Seigneur »].

Et je lui dis: « C'est ma fiancée. - Elle n'est donc pas ta femme ? » demanda-t-elle. Et je lui dis: « C'est Marie, celle qui a été élevée dans le temple du Seigneur. J'ai été désigné pour l'épouser, mais elle n'est pas ma femme, et elle a conçu du Saint-Esprit ». Et la sage-femme dit: « Est-ce la vérité ? » Joseph répondit: « Viens et vois ».

Et elle partit avec lui.

2. Et ils s'arrêtèrent à l'endroit de la grotte. Une obscure nuée enveloppait celle-ci. Et la sage-femme dit: « Mon âme a été exaltée aujourd'hui car mes yeux ont contemplé des

merveilles: le salut est né pour Israël ». Aussitôt la nuée se retira de la grotte et une grande lumière resplendit à l'intérieur, que nos yeux ne pouvaient supporter. Et peu à peu cette lumière s'adoucit pour laisser apparaître un petit enfant. Et il vint prendre le sein de Marie sa mère. Et la sage-femme s'écria: « Qu'il est grand pour moi ce jour ! J'ai vu de mes yeux une chose inouïe ».

3. Et la sage-femme sortant de la grotte, rencontra Salomé et elle lui dit: « Salomé, Salomé, j'ai une étonnante nouvelle à t'annoncer: une vierge a enfanté, contre la loi de nature ». Et Salomé répondit: « Aussi vrai que vit le Seigneur mon Dieu, si je ne mets mon doigt et si je n'examine son corps, je ne croirai jamais que la vierge a enfanté ».

20.1. Et la sage-femme entra et dit: « Marie, prépare-toi car ce n'est pas un petit débat qui s'élève à ton sujet. » A ces mots, Marie se disposa. Et Salomé mit son doigt dans sa nature et poussant un cri, elle dit: « Malheur à mon impiété et à mon incrédulité ! disait-elle, j'ai tenté le Dieu vivant ! Et voici que ma main se défait, sous l'action d'un feu ».

2. Et Salomé s'agenouilla devant le Maître, disant: « Dieu de mes pères, souviens-toi que je suis de la lignée d'Abraham, d'Isaac et de Jacob. Ne m'expose pas au mépris des fils d'Israël, mais rends-moi aux pauvres. Car tu sais, ô Maître, qu'en ton nom je les soignais, recevant de toi seul mon salaire ».

3. Et voici qu'un ange du Seigneur parut, qui lui dit: « Salomé, Salomé, le Maître de toute chose a entendu ta prière. Etends ta main sur le petit enfant, prends-le. Il sera ton salut et ta joie ».

4. Et Salomé, toute émue, s'approcha de l'enfant, le prit dans ses bras, disant: « Je l'adorerai. Il est né un roi à Israël et c'est lui ». Aussitôt Salomé fut guérie, et elle sortit de la grotte, justifiée. Et voici qu'une voix parla : « Salomé, Salomé, n'ébruite pas les merveilles que tu as contemplées, avant que l'enfant ne soit entré à Jérusalem ».

21.1. Alors que Joseph se préparait à partir pour la Judée une vive agitation éclata à Bethléem de Judée.

Les mages arrivèrent, disant: « Où est le roi des Juifs ? Nous avons vu son étoile en Orient, et nous sommes venus l'adorer ».

2. Cette nouvelle alarma Hérode qui dépêcha des serviteurs auprès des mages. Il convoqua aussi les grands prêtres et les interrogea au prétoire: « Qu'est-il écrit sur le Christ ? demanda-t-il. Où doit-il naître ? » Ils répondirent: « A Bethléem en Judée. Ainsi est-il écrit ». Et il les congédia.

Puis il interrogea les mages, leur disant: « Quel signe avez-vous vu au sujet du roi nouveau-né ? » Et les mages répondirent: « Nous avons vu une étoile géante, parmi les autres constellations, si éblouissante qu'elle les éclipsait toutes. Ainsi avons-nous compris qu'un roi était né à Israël et nous sommes venus l'adorer ».

Hérode leur dit: « Partez à sa recherche, et si vous le trouvez, faites-le moi savoir afin que moi aussi j'aille l'adorer ».

3. Les mages partirent. Et voici, l'astre qu'ils avaient vu en Orient les conduisit jusqu'à ce qu'ils fussent arrivés à la grotte, et au-dessus de la tête de l'enfant, il s'arrêta.

Quand ils l'eurent vu là, avec Marie sa mère, les mages tirèrent des présents de leurs sacs, or, encens et myrrhe.

4. Mais comme l'ange les avait avertis de ne pas repasser par la Judée, ils rentrèrent chez eux par un autre chemin.

22.1. Alors Hérode, voyant qu'il avait été joué par les mages, se mit en colère et envoya des tueurs avec mission de faire périr tous les enfants jusqu'à l'âge de deux ans.

2. Quand Marie apprit ce massacre, saisie d'effroi, elle prit l'enfant, l'emmaillota et le cacha dans une mangeoire à bétail.

3. Elisabeth, qui avait appris que l'on cherchait Jean, l'emporta et gagna la montagne, et elle regardait à la ronde où le dissimuler mais elle n'apercevait point de cachette. Alors elle se mit à gémir, disant: « Montagne de Dieu, accueille une mère et son enfant ! » Car la frayeur l'empêchait de monter. Aussitôt la montagne se fendit et la reçut en son sein, tout en laissant filtrer une clarté pour elle. Car un ange du Seigneur était avec eux et il les protégeait.

إذاً، بعد عرض أهم المحطات التي لها صلة بموضوع الاتهام من خلال إنجيل رؤيا يعقوب، يتبين أن هذا الإنجيل يؤكد وقوع الاتهام بمريم. فيذكر أن مريم لما بلغت الثانية عشرة من عمرها اختير لها رجل مسن يدعى يوسف ليكون زوجاً لها. لكنه قام منها مقام الحارس فقط. صائناً لحرمتها وحافظاً لبكوريتها. غير أن مريم قد وجدت حبلى وخاف يوسف أن يكون قد قصر في حراستها بما أتاح لفاجر أن يفجر بها.

فرواية إنجيل يعقوب تخالف رواية متى الذي يصر على أن الأمر

قد أحيط بسرية تامة، وتتفق مع رواية لوقا في شأن الاتهام والتشهير الذي تعرضت له مريم.

ولكن إذا تعرضت مريم للاتهام فما الذي منع من رجمها أو قتلها حسب الشريعة اليهودية؟.

إن نصوص العهد القديم سواء التي في سفر العدد أو التي في سفر التثنية، يمكن أن تكون لصالح مريم وضد يوسف إذا ثبتت براءتها.

ففي سفر العدد إص 5 مق 11-33: «**يقوم الكاهن بتجريع الزوجة التي شك فيها زوجها من ماء اللعنة المر، فإن كانت بريئة لم يمسسها سوء، وإن كانت مذنبة ورم بطنها وسقط فخذها**».

والإنجيل الأبوكريفي نصّ على أن محاكمة يوسف ومريم معاً، وتجريع مريم من ماء اللعنة المر يؤكد براءتها من التهمة حيث لم ترم بطنها ولم يسقط فخذها.

أما نص سفر التثنية إص13 مق 29: «**فهو خاص بالعذراء التي يتهمها زوجها. ففي هذا النص إذا تمكنت العذراء أو ولي أمرها من إثبات عذرتها فإنها تبرأ من اتهام رجلها، ويؤدب ذلك الرجل، ويدفع غرامة لوليها، وتصير زوجة له إلى الأبد**».

إذاً لم تتم محاكمة مريم حسب إنجيل يعقوب بمقتضى سفر التثنية، لأن يوسف لم يشتك مريم لفقد عذرتها، وإنما اشتكى بخيانتها له كزوجة، لأن عذراويتها أمر ظل ملازماً لها بعد وضعها المولود حسب الإنجيل نفسه. فلقد روى بأن سيدة تدعى «سالومي» تأكدت من صحة عذراوية مريم بعد ولادتها يسوع.

كما أن أوريجانوس (185-254م) نقل تقليداً في شأن عذراوية

مريم فذكر: «**أن مريم بعد أن وضعت المخلص ذهبت إلى المعبد ووقفت في ذلك المكان المخصص للعذارى، إلا أن هؤلاء الذين كانوا يعرفون أنها أنجبت طفلاً حاولوا إبعادها، لكن زكرياء الكاهن قال لهم: إنها مستحقة لمكان العذارى لأنها لا تزال عذراء**»[1].

ومن خلال هذا النص والنص السابق يدفعنا السؤال إلى القول:

- ما الذي يحمل سيدة مثل سالومي على اقتحام حياة مريم في أمر يخصها إلا أن يكون أمر مريم قد استشرى في أوساط المجتمع؟.

- وما الذي يحمل زكرياء الكاهن أن يقول للناس أنها مستحقة لمكان العذارى، ويتحمل مسؤولية قوله أمام الكهنة وأمام الشعب إلا أن يكون مسؤولاً أو متكفلاً برعايتها بما يضمن له معرفة دقائق أمورها؟. هذه الكفالة التي صمتت عنها الأناجيل، وإن كانت هناك إشارة لها في إنجيل لوقا تؤكد أن هناك علاقة بين مريم وزكرياء، تتمثل في ذهاب هذه الأخيرة إلى بيت زكرياء فور سماعها بشارة الملاك.

(1) راجع كتاب **سر مريم**، ص 113.

المبحث الثالث
القرآن الكريم وقضية اتهام مريم

هل تعرضت مريم للاتهام حسب القرآن؟ أم ظل الأمر مكتوماً؟ وكيف تم ذلك؟. كل هذه الأسئلة سنلقي الضوء عليها خلال هذا المبحث.

وبالمقارنة بين إنجيل لوقا القانوني والأناجيل غير القانونية التي كانت محلاً لدراستنا والقرآن الكريم، يتضح أن رواية لوقا تعتبر تمهيداً مباشراً لوقوع اتهام مريم من طرف قومها، وذلك عندما ترجع إليهم بمولودها بعد أن تنتهي مراسيم الاكتتاب، وهي لا تزال مخطوبة ليوسف. والقرآن الكريم لم يذكر قط أنها قد اكتشف حملها إلا بعد أن جاءت تحمله إلى قومها: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا * يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1]. وقال: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾[2].

فاتهام مريم في كل من إنجيل لوقا وغيره من الأناجيل غير القانونية يتفق مع كون هذه الولادة ولادة عذرية وآية من الله كما صرح القرآن الكريم: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[3]، بينما سترها بالزواج وعدم افتضاحها كما تدعي رواية متى

---

(1) سورة مريم، الآيتان 27 و28.

(2) سورة النساء، الآية 156.

تنافي وقوع الآية الكبرى في ولادة العذراء، والغريب أن متى نفسه يصرح بأن عيسى آية من الله حين قال: «**وهذا كله كان ليتم ما قيل من الرب القائل: ها العذراء تحبل وتلد ابنا**» وهو النص المقتبس عن سفر إشعيا إصحاح 7/ 14، وسيأتي الحديث عنه في مباحث قادمة من هذا البحث: «**ولكن يعطيكم السيد نفسه آية**، ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل». والآية أو المعجزة كما هو معلوم تقتضي الإشهار والإعلام، لا كما يدعي متى أن الأمر قد أحيط بسرية وكتمان.

ويحق لنا لطرح السؤال من جديد: إذا تعرضت مريم للاتهام حسب الأناجيل المعتمدة والأبوكريفية، فما الذي برأ ساحتها؟:

- هل برأت نفسها؟: فمن هذا الذي يصدق هذا الأمر، فالولادة الطبيعية تحتاج لذكَر كما الأنثى؟.

- هل هو يوسف؟: فلن يصدق أحد ولادة معجزة بناء على رؤيا في المنام لن تزيد الأمر ولن تحيطه إلا بمزيد من الشكوك، خاصة ومريم موجودة في منزله.

- لم يبق شيء يمكنه أن يضمن براءة مريم إلا هذا المولود. وهو ما سنراه من خلال المبحث التالي.

---

(1) سورة مريم، الآية 20.

المبحث الرابع
الكلام في المهد بين الأناجيل والقرآن الكريم

سكتت الأناجيل القانونية كعادتها عن الإشارة إلى أي متعلق يمكنه أن يهدي القارئ بشكل واضح، إلى معرفة ما الذي سيضمن براءة السيدة مريم والتهمة تحوم حول قضيتها. هذا الصمت المطبق، لم يكن يريد أن يتحدث عن دليل البراءة الطبيعي، وفق الظروف التي أحاطت بملابسات هذه القضية. إنه الكلام في المهد بمنطقيته الطبيعية، إذ لا يمكن لأحد أن يصدق أمر مريم إلا بدليل قد يخرج القضية من خانتها الطبيعية إلى إطار المعجزة وفق سنن وقوانين محكمة تحيط بأمر الرسالة نفسها.

ورغم أن الأناجيل الموجودة بين أيدينا حالياً، حاولت طمس معالمها إلا أن آثارها لازالت متبقية بها. ففي إنجيل لوقا إص 1/ 14-17 عندما بشر الملائكة زكرياء قالوا: «**ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته، لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بالروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيء للرب شعبا مستعداً**»[1].

---

(1) إنجيل لوقا، إص 1، مق 14/ 17.

والامتلاء من الروح القدس كما جاء في الإنجيل، ونصت عليه نصوص العهد القديم هو امتلاء بالوحي عن طريق هذا الملك.

- حينئذٍ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل. أعمال الرسل 4/ 8.

- وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا. أعمال الرسل 2/ 4.

- ولما صلّوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه. وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة. أعمال الرسل 4/ 31.

ومن هنا نبدي ملاحظاتنا حول هذا النص:

- ما الحاجة إلى أن يمتلئ يوحنا من الروح القدس في بطن أمه؟ أو ليست ولادته في حد ذاتها ولادة معجزة؟.

- هل يمكن أن يكون هذا النص محاولة من كتبة الأناجيل الكتمان على معجزة الكلام في المهد؟.

- إن الوصف الذي جاء به النص ينطبق تمام الانطباق مع المسيح بخلاف يوحنا. فلماذا أسند له؟.

- إن الذي يحتاج إلى الامتلاء من الروح القدس في هذه الفترة هو المسيح وليس أحداً آخر.

- من يحتاج إلى الكلام في المهد ليكون آية على صدقه هو يسوع وليس يوحنا، إذ كانت ولادته هو الآخر، ولادة معجزة بعد سن اليأس والعقر. فالبشارة بالامتلاء من الروح القدس تحولت برغبة من كاتبي الأناجيل إلى يوحنا رغم أنها لا تنطبق عليه بحال.

- يضاف إلى هذا الامتلاء ما ذكره لوقا في شأن الولادة، وذلك

أن مريم لما وضعت مولودها جاء ملاك الرب إلى الرعاة يبشرهم بمولود جديد وقال: «**وهذه لكم علامة** تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً في مذود». فمتى كان التقميط والإضجاع علامة على أن المولود هو المخلص ومسيح الرب؟.

- مريم قد انكشف أمرها كما رأينا سابقاً، ولا بد لها من بينة وإلا تعرضت للعقاب حسب الشريعة أي الرجم.

وهكذا، فالكلام في المهد واقعة ثابتة أريد لها أيضاً أن تختفي باختفاء التهمة نفسها كما أراد متّى، وتطمس معالم المعجزة الكبرى في حياة المسيح. لكن آثار التحريف والتحوير، تظل شاهدة في الكثير من الأحيان عن بعض الوقائع كما رأينا عند لوقا، الذي أراد أن يحول هذا المعطى إلى غير أهله، وبالتالي لا يصبح معنى لأي معجزة، ولا آية اسمها الكلام في المهد. وسنرجئ الحديث عن هذا الخلط المنهجي في اقتباس متى لنبوءة من العهد القديم وتلفيقها ليوحنا إلى مباحث قادمة، سنتحدث عنها بتفصيل في حينها.

1- الكلام في المهد من خلال إنجيل الطفولة

*- تعريف موجز عن أناجيل الطفولة

بعد أن تطرقنا للحديث عن الكلام في المهد من خلال الأناجيل القانونية، نكمل حديثنا عن هذه القضية من خلال الأناجيل غير القانونية. لنؤكد هذه المرة أن هناك صمتاً مطبقاً من جانب هذه الأناجيل على هذا الجانب الحساس في قصة الولادة. وقبل أن نخوض غمار البحث في هذه القضية لا بد لنا من لمحة تعريفية على

أهم ما تحويه هذه الأناجيل المسماة بأناجيل الطفولة، وتاريخيتها والأمور المرتبطة بها، ونبدأ أولاً بأهمها وأشهرها.

أ- إنجيل طوماس: وهنا سأستعير ترجمة الكاتب سواح وتقديمه الهام على موقع اللادينيين العرب، وهو ترجمة للنسخة الإنجليزية المسماة بـ «ترجمة العلماء لإنجيل طوماس» *"The Scholars Translation of the Gospel of Thomas"*.

فى منتصف القرن العشرين اكتشف في نجع حمادي بمصر مخطوطة كاملة مترجمة من اللغة اليونانية باللغة القبطية لإنجيل عنوانه إنجيل توما *"The Gospel of Thomas"* وترجع إلى حوالي سنة 340 ميلادية ، وقبل ذلك الوقت بحوالي خمسين سنة أخرى اكتشفت أجزاء من هذا الإنجيل باللغة اليونانية بمصر أيضاً ترجع إلى حوالي سنة 170 ميلادية ، لذلك فإن إنجيل توما كتب في وقت قبل منتصف القرن الثاني الميلادي.

وهذه قائمة بأهم مخطوطات الإنجيل:

مخطوطة نجع حمادي المكتوبة باللغة القبطية وترجع إلى القرن الرابع وهي مخطوطة كاملة للنص، حيث تضم المقدمة والأقوال من 1 إلى 114.

Nag Hammadi, Codex II, Tractate 2 (pp 32-51) (Coptic, Fourth century, Prologue-Saying 114)

- بردية Papyrus Oxyrhynchus 654 باللغة اليونانية وترجع إلى منتصف القرن الثالث وتضم المقدمة والأقوال من 1 إلى 7.

Papyrus Oxyrhynchus 654
(Greek, Mid-Third Century, Prologue + Sayings 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7).

- بردية Papyrus Oxyrhynchus 1 باللغة اليونانية وترجع إلى أواخر القرن الثانى وتضم الأقوال من 26 إلى 33.

Papyrus Oxyrhynchus
(Greek, Late Second-Early Third Century, Sayings 26, 27, 28,. 29, 30, 77b, 31, 32, 33).

محتوى ومضمون إنجيل توما

إن إنجيل توما هو عبارة عن أقوال أو تعاليم تأتي على لسان يسوع يبلغ عددها 114 مقولة أو تعليم، وهذا الإنجيل ليس إنجيل قصص وسيرة ليسوع كما هو الحال في الأناجيل الأربعة التي وافقت عليها الكنيسة واعتمدت قانونيتها منذ مجمع نيقية سنة 325 ميلادياً.

متى كتب هذا الإنجيل؟

هناك جدل كبير بين العلماء في الإجابة عن هذا السؤال. العديد من العلماء يقولون إنه كتب تقريباً في الوقت نفسه الذي كتبت فيه الأناجيل الأربعة، وربّما قبل ذلك. ودليلهم أنه لا توجد أي إشارة في أغلب الأقوال في إنجيل توما إلى اعتماد الكاتب على الأناجيل الأربعة أو معرفته بها، ولذلك فإن الكاتب كان يستقي هذه الأقوال من التقليد الشفهي وليس من النصوص الإنجيلية المكتوبة.

فمن المستبعد منطقياً أن يأتي بأقوال تخالف الأناجيل الأربعة لو كانت مكتوبة ورائجة في زمنه. مما يدل على أن هذا الإنجيل كتب قبل تدوين الأناجيل الأربعة وقبل انتشارها وقبولها من المسيحيين، أو على الأقل كان معاصراً لهذه الأناجيل قبل رواجها.

ومن ناحية أخرى، فإن بعض العلماء الآخرين يرون أن كاتب

إنجيل توما اعتمد في بعض ما سجله في إنجيله على الأناجيل الأربعة، ويستنتجون أنه ربما حذف تقريباً أي إشارات تكشف تأثره بأساليب وأفكار كتبة الأناجيل، ويرجح هؤلاء العلماء أن إنجيل توما كتب في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد.

من كاتب هذا الإنجيل[1]؟

لا أحد يعرف.

فالأناجيل الأربعة وإنجيل توما والأناجيل الأخرى مثل إنجيل فيليب *"Gospel of Philip"*، الذي اكتشف في نجع حمادي أضيفت أسماؤهم على هذه الأناجيل في وقت ما في القرن الثاني. فعلماء العهد الجديد عموما يتفقون على أنه لا يوجد إنجيل كتبه أحد الذين قابلوا يسوع الناصري أثناء حياته. وإنما في وقت لاحق خصصت أسماء شهيرة في الكنيسة الأولى لهذه الأناجيل[2].

---

(1) هناك من يقول إنه واحد من الحواريين الإثني عشر، واسمه يدل على توأم (jumeau)، والوحيد الذي أشار إليه هو يوحنا 11/ 16، و14/ 5. انظر *Dictionnaire de la bible*، مادة Thomas، ص 418، وفيه أيضاً تعريفاً بإنجيله.

(2) انظر ترجمة الكاتب سواح لهذا الإنجيل بموقع اللادينيين العرب: Ladeeni.net، وللإشارة فقط فهذا الكاتب ليس هو فراس السواح الكاتب السوري المعروف. وانظر نسخته الفرنسية على الموقع: وهناك إنجيل آخر باسم طوماس، يدعى إنجيل الطفولة لطوماس على الموقع التالي: www.earlychristianwritings.com، كما ترجمت له **دائرة المعارف الكتابية**، مادة أناجيل الطفولة ص: 58.

ب- إنجيل الطفولة العربي: تعرف دائرة المعارف الكتابية هذا الإنجيل فتقول:

إنجيل عربي بقلم جملة مؤلفين. ومع أنه نشر أولاً بالعربية مع ترجمة لاتينية في 1697م، إلا أن أصله السرياني يمكن أن يستدل عليه من ذكر عصر الإسكندر الأكبر في الإصحاح الثاني، ومن معرفة الكاتب بالعلوم الشرقية، ومن معرفة الصبي يسوع وهو في مصر بالفلك والطبيعيات. ولعل انتشار استخدام هذا الإنجيل عند العرب والأقباط يرجع إلى أن أهم المعجزات المذكورة فيه حدثت في أثناء وجوده في مصر. ومما يلفت النظر أنه جاء بهذا الإنجيل (إصحاح 7) أنه بناء على نبوة لزرادشت عن ولادة المسيا، قام المجوس برحلتهم إلى بيت لحم، كما أن به عدداً من القصص التي يذكرها أحد الكتب الدينية الشرقية. والإصحاحات من (1 - 9) مبنية على إنجيلي متى ولوقا القانونيين، وعلى إنجيل يعقوب الأبوكريفي، بينما من الإصحاح 26 إلى الأخير مأخوذ عن إنجيل توما[1].

***- الكلام في المهد من خلال إنجيل الطفولة العربي**

يقول كاتب الإنجيل في الفصل الأول 1 - 3:

«إن الأحداث الآتية وجدناها في كتاب رئيس الكهنة يوسف الذي يدعى قيافا.

يقول: إن يسوع قد تكلم حتى وهو في المهد وقال لأمه: يا مريم إني أنا يسوع ابن الله

(1) انظر: **دائرة المعارف الكتابية**، مادة أناجيل الطفولة، ص 58.

الكلمة الذي جاء عن طريقك بحسب إعلان الملاك جبريل لك. ولقد أرسلني أبي لخلاص العالم». وهو ترجمة عن النص الفرنسي الموجود على شاشة الإنترنت[1]:

Nous avons trouvé (ceci) dans le livre de Josèphe, le grand prêtre qui existait du temps du Christ, - d'aucuns ont dit que c'était Caïphe - il affirme donc que Jésus parla, étant au berceau, et qu'il dit à sa mère: "Je suis Jésus, le fils de Dieu, le Verbe, que vous avez enfanté, comme vous l'avait annoncé l'ange Gabriel, et mon Père m'a envoyé pour sauver le monde. (notes 1 et 2)".

إن الكلام في المهد لم يشأ أن تبرزه الكتابات القانونية، ولا غير القانونية بسبب ما تحدثنا عنه سابقاً، من كون هذه الكتابات كانت تعكس وجهات النظر المحيطة بالواقع التاريخي لهذه الحادثة. لهذا كان هناك لبس في التعاطي الموضوعي مع مثل هذه القضايا. وإنجيل الطفولة بنسخه المتعددة، هو الإنجيل الأبوكريفي الوحيد الذي أشار إلى واقعة التكلم كما رأينا من خلال فقراته السابقة.

وعموماً فأناجيل الطفولة تحوي بين طياتها العديد من المعجزات والخوارق وفق المنظور الذي ينطلق منه كتابها، ووفق التأثير الواضح في نصوصها بالفكر الغنوصي الوثني[2] ومذهب الدوسيتية المنتشر

---

(1) الموقع: seigneurjesus.free.fr.

(2) االغُنُوصيَّة من «غنوص» *gnōsis*، الكلمة اليونانية التي تعني معرفة أو بصيرة، وهي تسمية أُطلِقَتْ على حركة دينية وفلسفية سائدةِ التنظيم ازدهرتْ في القرنين الأول والثاني للميلاد. تقول بأن المادة شر وأن هناك صراع بين النور والظلمة. وللمزيد من المعلومات حول هذا الفكر الفلسفي راجع ما كتبه إدوارد مور حولها في كتاب: **الغنوصية: الفكر والوحي**، ترجمة أسماء جلال =

آنذاك[1]، أو الأساطير القديمة المؤثرة في الفكر الديني عموماً. هذه التصورات والمعتقدات الكثيرة والمليئة بالخوارق والمعجزات لم توجد إلا بهذه الأناجيل. بل إن معظمها أضربت عنه صفحا الأناجيل الأربعة القانونية والعديد من الأناجيل والكتابات المنحولة الأخرى.

بالفعل كانت هذه التأليفات بمختلف توجهاتها، تنم عن تعدد في الثقافات والحضارات لكتاب هذه الأناجيل. ولوقا نفسه وهو كاتب قانوني يعترف بهذا الخلط في المعرفة الكتابية التي استقت معلوماتها من مصادر متعددة، فيقول: «**إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا** كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة **رأيت أنا أيضاً** إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به». فهو وإن كان يثق بصحة المصدر الذي يأخذ عنه معلوماته، إلا أنه يطرح إشكالية التعدد في المصادر والمرجعيات الفكرية لكل كاتب على حدة.

وقد كانت فكرة المسيح المنتظر كما سيأتي بيانها في محلها من

= الدين، إعداد دارين أحمد على الموقع: www.maaber.org. وكذلك: *"Dictionnaire de l'histoire du christianisme"*، مادة gnocisme، ص 453

(1) الدوسيتيون من الكلمة اليونانية Doketai، ومن الفعل Dokein أي بان. أعادوا تمثيل النزعة الوراثية في المسيحية. والمسيح في معتقدهم طوال حياته في الأرض لم يكن له جسد حقيقي، ولكن له جسد كالذي للشبح. راجع المزيد حولها في: *Dictionnaire de l'histoire du christianisme*، مادة Docetisme، ص 376-377، و *Dictionnaire de la bible*، المادة نفسها، ص 154.

هذا البحث، هاجساً لدى الفكر المسيحي، تؤطر الكتاب وتسمح لخيالهم بأن يسبح في دنيا المعجزات والخوارق التي لا هدف لها ولا مقصد من ورائها. ولما مات معظم الذين شاهدوا الأحداث ومات أتباعهم، اضطر الكثيرون لتدوين أناجيل وسير حتى لا تضيع القصة كما تعلموها من المسيحيين الأوائل. فمنهم من كان يهودياً يعتز بالعهد القديم وتعاليمه وعقائده وطقوسه وشرائعه، فقام بتأليف إنجيل يغلب عليه الفكر اليهودي ويظهر فيه المسيح كمعلم أو حبر. ومنهم من كان متأثراً بالفكر الغنوصي فجاء تصوير المسيح في أناجيله على أنه روح وليس مادة، وقالوا بأن الجسد الذي كان ليسوع مجرد وهم وخيال، وهلم جراً.

2- الكلام في المهد من خلال القرآن الكريم

في الحقيقة كلما سنتحدث عن القرآن، ستبرز إشكاليات كثيرة ومتعددة، مرتبطة بالتفاعل والتواصل الحاصل بين الأديان. هل نقل القرآن القصة نفسها التي أضربت عنها الأناجيل القانونية وغير القانونية، وصاغها من جديد بأسلوبه الخاص؟ وإذا كانت قصة الكلام لم ترد إلا في إنجيل الطفولة العربي، وهو كما رأينا خلاصة للفكر الغنوصي والدوسيتي والمذاهب الفلسفية والفكرية السائدة آنذاك. فهل ساير القرآن الكريم هذه الأطروحات المخالفة لمبادئه وتوجهاته؟ هل كتب الإسلام الخلود لمثل هذه الأساطير؟

هذه الأسئلة وغيرها من الإشكاليات التي يطرحها الباحث، وتعترض طريق البحث في الكتب المقدسة بشكل عام. تجعلنا نحاول رصد هذه القضية وفق ما أطرناه سابقاً في تعاملنا مع هذا الكتاب،

ووفق منظور نعتمده لمقاربة هذا الموضوع قيد المدارسة.

وهدفنا من هذا كله التعامل مع القرآن الكريم بمنظور إنساني يبدأ بالإنسان وينتهي إليه. فالقصص المطروحة للنقاش في هذا الكتاب هي قصص بالحق: «**واقصص القصص الحق**»، ليس هدفها هو إثبات تاريخيتها من عدمها، أو صدقها من بطلانها. بل يتجاوز الأمر كل هذا في اتجاه ينحو بالإنسان أن يتعامل مع القصص وما تطرحه من قضايا إنسانية تلامس جوانب تبدأ بالنفس الإنسانية وما تختزنه من أسرار، وتصل برحابتها إلى ما يعكس الواقع الإنساني وتجاربه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

إن هذه المدارسة تنبني على الإيمان بأن للقرآن وجهات نظر واقتراحات إنسانية تخرج به من إطار الإيمان السلبي إلى طور يكون فيه المؤمن مسهماً بشكل أو بآخر في حلول القضايا الإنسانية، دون وصاية على الناس، أو حجر لحقهم في التفكير، واختزال الحق في المذهب أو الطائفة أو الجماعة، وغير ذلك من بلايا الفكر الديني المتطرف، أو المحتكر للحق في أصوله وتخريجاته.

إن ما تعكسه هذه التجربة التي نحن بصدد دراستها هو البعد النفسي الذي يمكن أن يخلفه حادث مثل هذا في أي ثقافة محافظة ترى في العلاقات الجنسية بشكل عام أمرا محرما. فسيدة مثل مريم لم يشفع لها لا حسن وسطها الاجتماعي، ولا شرف نسبها كما أكدت شهادات الأناجيل غير القانونية، بل تعرضت لتهمة جاوزت كل هذه المعطيات الاجتماعية. وصارت حديثاً للناس، تتقاذفها الألسنة، وتلمزها نظرات الناس دون أن ينظر أحد أو يلتفت إلى وسطها أو بيئتها. والواقع التاريخي يؤكد صدق هذه التجربة المتكررة على مر

فترات التاريخ. وعليه فلا بد من الأدلة والبراهين والحجج الدامغة التي يمكنها أن تبرئ ساحة من يتهم في مثل هذه القضايا الحساسة، والتي يكون المجتمع أو البيئة عنصراً فعالاً في تحريك دواليبها. فإذا كان الطب الآن بتخصصاته الدقيقة يمكن أن يكشف بعض ما يمكن أن يكون موضعاً للبس في الواقع المعاصر، فقد احتاجت أيضاً السيدة مريم إلى ما يمكنه أن يلجم الأفواه، ويسكت ألسنة المتخرصين والمتقولين في زمانها. ولا يمكن أن يكون هذا الشيء في ظل واقع يفتقر إلى أبسط ما نتحدث عنه في الواقع المعاصر بكل تحدياته وتجاذباته، إلا المولود الذي لا بد له أن ينطق على صدق هذه المرأة، ويزيل عنها كل شبهة.

فالقرآن الكريم يعبر بنا من خلال هذه القصة إلى آفاق العبرة والتذكر لما قال: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾[1]، وهذا هو مصير كل امرأة عبر التاريخ، ستحمل إلى مجتمعها المحافظ الرافض للعلاقات الجنسية خارج سلطة المجتمع العرفية. ولن ينفع حينها حسن السلوك أو السيرة، ولا البيئة الاجتماعية أو الأسرية: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.[2] وهنا سيأتي دور تقديم الدليل على البراءة والطهارة العرفية، ولا بد أن يبدد هذا الدليل كل الشبهات المحيطة بالقضية، وإلا سيبقى سيف التهمة متسلطاً على رقبة المتهم، ومتابعاً له في كل مسيرته داخل المجتمع. وفي حالة مريم لن يكون هناك دليل أقوى من

(1) سورة مريم، الآية 26.
(2) سورة مريم، الآية 27.

أن يتكلم هذا المولود معلنا عن طهارة أمه، ومؤذناً بفجر براءتها. وهذا هو معنى الآية أو المعجزة، التي يمكنها أن تبين للناس صدق الحديث من بطلانه. وعندها سيؤمن من بهت وظهر له الحق بعد أن زهق الباطل، وسيعرض في كل زمان أو مكان من لا تهمه دلائل البراءة ولا طهارة الناس وعفتهم: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾.

فهذه هي المعجزة حسب تصورنا لها كما يطرحها القرآن، فهي لا تناقض نواميس الطبيعة ولا قوانينها، وإنما تنسجم مع معطيات الطبيعة الإنسانية في كل زمان ومكان. ومن هنا نرى بأن هناك خللاً منهجياً في الفكر الديني عموماً في تعامله مع هذا العطاء الممتد كما قلنا سابقاً إلى آفاق الإنسان. ونتحول بذلك من أسرار هذا المعطى إلى البحث عن تفاصيل وجزئيات قد تضيق علينا في الكثير من الأحيان الوصول إلى المبتغى، والله أعلم.

الفصل الثالث

سلسلة الأنساب وقصة الولادة

يعد النسب أحد الأمور الخطيرة في قصة ولادة المسيح، تنبني عليه إشكاليات وقضايا يمكن أن يكون لها التأثير البالغ في مسار الفكر المسيحي اليهودي المؤمن بالأساس بفكرة النسب المطروح ليسوع. هذه القضية التي أخذت أبعاداً ومسارات متباينة، واختلفت حولها آراء النقاد تأثيراً وتأثراً، نطرحها للنقاش من جديد عبر المصادر المعتمدة لدى الفكر المسيحي، وهدفنا أن نخرج من خلال هذه الدراسة بخلاصات حول ما تختزنه هذه القضية من تجاذبات وتقاطعات تلقي بظلالها على كل الأنساق الدينية التي تطرقت لولادة المسيح.

لكن قبل أن نخوض غمار هذا الجدل العميق في سلسلة النسب، لا بد لنا مما يمكن أن نسميه: «بالمقدمات التمهيدية» لفهم أعمق لمرامي هذه السلسلة من الأنساب، والخروج بخلاصات حول سؤال النسب داخل هذه النصوص القانونية.

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية

- كان اليهود مولعين بسلسلة أنسابهم ولعاً كبيراً، ليثبتوا أنهم شعب الله المختار، اصطفاهم ليكونوا أهلاً لميراث الأرض المباركة. كما كان النسب مدعاة للكاهن أن يمارس عمله الديني باعتباره من

سبط لاوي. هذا الولع وذاك التدقيق جعلهم يحتفظون بسلسلة كاملة مكتوبة لأنسابهم، ورذلوا كل من لم يجدوا اسمه مكتوباً فيها، ففي سفر عزرا 2/ 62: «هؤلاء فتشوا على كتابة أنسابهم فلم توجد فرذلوا من الكهنوت». ومن هنا يتضح أهمية معطى النسب داخل الفكر اليهودي بشكل خاص، والمسيحي بشكل تبعي كان فيه التأثير اليهودي حاضراً بشكل قوي. وسلسلة النسب عند كل من متى ولوقا كما سنلاحظه في مكانه من هذا المبحث، سلكت النهج اليهودي نفسه المهتم بمسألة الأنساب، فكانت بذلك موضعاً مقدساً، وأمراً بالغ الأهمية في البنية الذهنية لكتبة الأناجيل.

- كانت مصلحة اليهود تستلزم الحفاظ على سجلات الأنساب، وهو أمر شائع ومتعارف عليه. وكانت هذه السجلات محفوظة في أورشليم. وكان الكهنة بعد كل حرب يجدّدون جداول أنسابهم ليحققوا مَن مِن نساء الكهنة سُبيت ومن منهن لا تليق أن تكون زوجة للكاهن. هذا الحرص الكبير مرجعه التباهي بالأصل، وضمان الحق في تقسيم الأرض، والمحافظة على الوظائف. وسلسلة النسب جاءت لتتماهى مع الواقع اليهودي المقدس لفكرة العرق والأصل. ومن هنا كانت السلسلة مليئة بالملوك والأنبياء، محاولة الانسجام مع سجلات اليهود[1].

- كانت فكرة المسيح المنتظر، تشكل هاجساً قوياً يؤرق الشعب

---

(1) انظر كتاب **شبهات وهمية** حول الكتاب المقدس للقس منيس عبد النور، *(Electronic Christian Library* www.Defa3yat.com)

اليهودي والمسيحي على حدة. وفكرة الأنساب جزء من هذه المنظومة المتطلعة إلى مسيحها ومخلصها. وقد عرفت فكرة المسيح المخلص، أوجها مع الفكر اليهودي الذي احتضنها، وسلمها لتمد أواصر التأثير والتأثر بالفكر المسيحي في ما بعد. والقديسان متى ولوقا كانا محاصرين بهذا الفكر في مختلف فترات كتابتهم. وسنرجئ الحديث بشكل مفصل عن هذه الفكرة إلى مباحث قادمة من هذا البحث.

- وجود سلسلة النسب عند كل من متى ولوقا دون من سواهما، يجعلنا نرصد أهم ما يمكنه أن يضيء لنا الطريق داخل هذا المبحث في إنجيليهما:

كتبت هذه البشارة نحو عام 42 ميلادية فمتى البشير هو كاتب هذه البشارة. وهو اسم عبري، «مثتيا»، ويعني «عطية الله». وقد كان يعمل عشاراً أي جابي ضرائب في بلدة كفر ناحوم. ومع أن هذه الوظيفة كان صاحبها مكروهاً من الشعب، إلا أنه وجد نعمة لدى السيد الرب، ليدعوه ليكون واحداً من تلاميذه الاثني عشر، وكاتباً للبشارة الأولى. وقد وجه متى إنجيله هذا إلى اليهود الذين آمنوا بيسوع رباً. وظهر هذا من خلال اقتباساته الكثيرة من نصوص العهد القديم ومن نبوءات الأنبياء السابقين، كما سنرى في حينه من خلال مباحث قادمة[1].

أما لوقا فهو كاتب الإنجيل المسمى باسمه، وهو أيضاً كاتب سفر أعمال الرسل. ويعتقد أن لوقا من أنطاكية. ومن المرجح أن اسم «لوقا» لاتيني الأصل، وربما كان اختصار (لوقانوس) أو (لوكيوس).

---

(1) انظر تعريفاً لمتى بـ *Dictionnaire de la bible*، مادة Mathieu، ص 286.

وهو رفيق وتلميذ الرسول بولس وصديقه في بعض رحلاته وأسفاره. وكان بولس يدعوه «الطبيب الحبيب» (كولوسي 4: 14)، وكذلك في رسالة فليمون وصفه بالقول «العامل معي». وقد كان شريكاً في رحلة الرسول بولس التبشيرية إلى فيلبي (أعمال 16: 10 ،17)، ومن المحتمل أنه بقي هناك لكي يعلم الذين آمنوا بالمسيحية.

وكان لوقا موجهاً كلامه وكتابه لشخص يدعى ثاوفيلس، أي «محب الله» (لوقا1: 3) يرجح أنه أحد المسيحيين من أصل أممي، وسبب الكتابة هو أن يعرف ثاوفيلس سبب وصحة إيمانه. «لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ» (لوقا1: 4)، كما أن بشارة لوقا كُتِبت لتقدم ترجمة حية لحياة السيد المسيح الذي جاء مخلصاً للعالم أجمع[1].

(1) انظر المرجع السابق نفسه، مادة Luc، ص 273.

المبحث الثاني
سلسلة الأنساب في الأناجيل

يقول متى: «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم إبراهيم ولد إسحاق وإسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار وفارص ولد حصرون وحصرون ولد أرام وأرام ولد عميناداب وعميناداب ولد نحشون ونحشون ولد سلمون وسلمون ولد بوعز من راحاب وبوعز ولد عوبيد من راعوث وعوبيد ولد يسى ويسى ولد داود الملك وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا وسليمان ولد رحبعام ورحبعام ولد أبيا وأبيا ولد آسا وآسا ولد يهوشفاط ويهوشفاط ولد يورام ويورام ولد عزيا وعزيا ولد يوثام ويوثام ولد آحاز وآحاز ولد حزقيا وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد آمون وآمون ولد يوشيا ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل. وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتئيل وشألتئيل ولد زربابل وزربابل ولد أبيهود وأبيهود ولد إلياقيم وإلياقيم ولد عازور وعازور ولد صادوق وصادوق ولد أخيم وأخيم ولد أليود وأليود ولد أليعازار وأليعازار ولد متان ومتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً. ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً. ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً».

أما لوقا فقد ذكر سلسلة أخرى يقول فيها: «**ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلي بن نجاب بن مآث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شألتئيل بن بن نيري بن ملكي بن أدي بن قصم بن ألمودام بن عير بن يوسي بن أليعازار بن يوريم بن متثات بن لاوي بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن إلياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن مالك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله**».

1- ملاحظات حول السلسلتين

لا بد لقارئ سلسلتي النسب عند كل من لوقا ومتى، أن يُكوِّن نظرة وخلاصات حول مكونات هاتين السلسلتين. وها هي أهم الملاحظات المستخلصة من القراءة الأولية لهاتين السلسلتين:

*- علاقة يوسف النجار بالمسيح

عند التأمل في سلسلة نسب المسيح، نجدها تجعل نسب يوسف النجار نسباً للمسيح الذي تصر الأناجيل القانونية بمختلف مكوناتها

على أن ولادته ولادة معجزة، تمت خارج قوانين الطبيعة. كما أكدت الأناجيل المنحولة أو الأبوكريفية على المعطى نفسه الثابت في غيرها من الكتب المعتمدة. وهذا الأمر سيكون مستساغاً لو انتهى النسب بنسبة يسوع إلى أمه وأسرتها القريبة والبعيدة، ولكن حدث ما لا يمكن قبوله حتى بالمنطق الإنجيلي نفسه وهو نسبة يسوع إلى أب لا يمت له بصلة من قريب أو من بعيد، حسب النصوص الإنجيلية نفسها كما أكدنا سابقاً. فمن هو هذا الأب المزعوم داخل قصة الولادة؟.

تصمت الأناجيل القانونية كعادتها على الكثير من جوانب حياته، وتعتمد على عنصر الإبهام في التعامل مع هذه الشخصية. وسنرى الآن تعريفاً له من خلال الموسوعة البريطانية يقول: «**يوسف النجار، الأب الدنيوي ليسوع، وخطيب العذراء مريم في العهد الجديد، وزعيم الكنيسة الكونية عند الروم الكاثوليك. دونت سيرته في الأناجيل وبالخصوص في متى ولوقا. كان يوسف ينحدر من سلالة بيت الملك داود. وبعدما تزوج مريم وجدها حبلى، وكان «رجلاً صالحاً فلما أراد أن يكشف سرها فعزم أن يتركها سراً» (متى1: 19) فقرر أن يطلقها بهدوء؛ لكن ملاكاً أخبره أن الطفل ابن الله حملت به أمه من الروح القدس. أطاع يوسف الملاك وأخذ مريم زوجة له، وبعد ولادة يسوع في بيت لحم (بيت لحم الحديثة، الأردن) في اليهودية، ستستقبل العائلة المقدسة هناك المجوس، وحذر الملاك يوسف ومريم من مذبحة وشيكة (The impending violence) ضد الأطفال سيقوم بها الملك هيرودس كبير اليهودية، ولذالك هربوا إلى مصر، وسيظهر الملاك ثانياً ليوسف ليخبره بوفاة هيرودس ويأمره بالعودة إلى الأرض المقدسة. لكن يوسف ومريم**

سيتجنب العودة إلى بيت لحم خوفاً من خلف هيرودس، وسيستقر بالناصرة (متى2: 22 - 23) بالجليل، حيث سيلقن حرفة النجارة ليسوع. وسيكون آخر ظهور ليوسف في الإنجيل عندما ذهب رفقة مريم للبحث عن يسوع بعدما فقداه في أورشليم، حيث سيجدونه في المعبد (لوقا2: 41 - 48) [. . .] ظروف وفاة يوسف ظلت غامضة، وربما كانت وفاته قبل بداية محاكمة يسوع، وبالتأكيد أنها كانت قبل صلبه (يوحنا19: 26 - 27)»[1].

*- زناة في نسب المسيح

إن المتتبع لمتى يجده يذكر في نسب المسيح أربع جدات للمسيح هن **ثامار، وزوجة داود التي كانت لأوريا الحثي، وراحاب، وراعوث**. إن لكل واحدة من هؤلاء النسوة سوءة تذكرها التوراة. فثامار هي التي ولدت فارص زناً من والد أزواجها الذين تعاقبوا عليها واحداً بعد واحد تنفيذاً لما جاء في الناموس عن زواج الرجل من أرملة أخيه، وهكذا ولدت ثامار فارص من والد أزواجها يهوذا (التكوين 38/ 2 - 30).

وأما زوجة أوريا الحثي فهي التي تتهم التوراة داود بأنه فجر بها، وهي زوجة لأحد قادته فحملت، ثم دفع داود بزوجها إلى الموت، وتزوجها بعد وفاته، وكان حملها بالنبي سليمان أحد أجداد المسيح. (صموئيل (2) 11/ 1 - 4).

---

(1) Mortimer J. Adler, Frank B. Gibney, Jacques Barzun, Daniel J. Boorstin... [et al.], *The New Encyclopaedia Britannica*, Chicago, The University of Chicago Press, 1985, vol 6, p 621.

وأما راحاب زوجة سلمون، وأم بوعز، هي التي قال عنها يشوع: «**امرأة زانية اسمها راحاب**» (يشوع 2/ 1)، وذكر قصة زناها في سفره.

وأما راعوث فهي راعوث المؤابية زوجة بوعز وأم عوبيد، والتوراة تقول: «**لا يدخل عموي ولا مؤابي في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر**» (التثنية 23/ 3).

والأمر نفسه ينسحب على أجداد المسيح الذكور، الذين ذكر متى منهم اثنان وثلاثون أباً (إلى دواد) وذكر لوقا اثنان وأربعون أباً، فهؤلاء أيضاً قد تلطخت أيديهم بالفاحشة بأبشع صورها وهي زنا المحارم كما ورد في نصوص العهد القديم، وهؤلاء هم: يهوذا، وداود، وسليمان، ورحبعام.

وأما يهوياقيم أحد أجداد المسيح كما في سفر الأيام الأول «**بنو يوشيا: البكر يوحانان، الثاني يهوياقيم، الثالث صدقيا، الرابع شلّوم. وابنا يهوياقيم: يكنيا ابنه، وصدقيا ابنه**» (**الأيام (1) 3/ 14-15**)، فيهوياقيم اسم أسقطه متى من نسبه للمسيح، بين يوشيا وحفيده يكنيا، ولا يخفى سبب إسقاطه لاسمه، فحسب سفر الأيام فقد ملك يهوذا، فأفسد، فقال الله فيه: «**لا كون له جالس على كرسي داود، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً، وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم**» (إرميا 36/ 30 - 31).

فقد تختلف التأويلات وتتباين وجهات النظر في مثل هذا الإقحام الوارد في إنجيل متى. غير أنه لا بد وأن هناك خلفية من إيراد العنصر النسوي داخل سلسلة النسب، تكشف عنه نوعية النسوة، ونوعية الجريمة الملتصقة بهن في العهد القديم. والذي يؤكد أن هناك خلفية

معينة وراء هذا الجانب الذي يبدو أن له تبعات خطيرة داخل هذا السياق، هو سكوت سلسلة النسب عند لوقا عن ذكر أي متعلق بهن.

فما هي يا ترى خلفية متى في ذكره لهذا الجانب؟. وما هي الأسس التي حركت هذه اللعبة؟. هل كان المقصود هو إثبات الطعن المباشر في سلسلة نسب المسيح؟. هل إيرادهن كان يرسل رسائل مشفرة إلى اليهود الموجه لهم كتاب متى بعدم طهارة مريم المنتسبة إلى هذا النسب الملوث بجريمة الزنا؟.

كل هذه التساؤلات تضعنا أمام إشكالية حقيقية في التعرف إلى المرامي الخفية للبشير متى من خلال هذه السلسلة. ولكن نود أن نقول اعتماداً على ما قررناه سابقاً من خلال المقدمات التمهيدية، ومن خلال ما مر معنا من مباحث أن متى كان يمهد لقضية خطيرة، وهي التعريض بعدم طهارة السيدة مريم، وإن لم يكشف عن ذلك بطريقة مباشرة. وقد كانت المباحث السابقة، وخاصة المتعلقة بالاتهام تمشي في هذا الاتجاه. وهذا ما جعلنا نتبنى هذا الرأي[1].

***- نسب مريم**

ورد في الأناجيل أن أليصابات زوجة زكرياء من أقارب مريم العذراء: «**وهوذا إليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً**» (لوقا 1/ 36). وكما هو معروف فأليصابات من ذرية هارون الكاهن، وبالتالي

(1) من الباحثين من يرى في أن إثبات النساء الزانيات في نسب المسيح هو نصب تذكارية لنعمة الله الغنية، وذلك يرينا أن الله في محبته المتفاضلة يقيم الأشرار من المزبلة ويجلسهم على كراسي الشرفاء. انظر كتاب: **المسيح في الكتاب المقدس**، لهربرت لوكير، ص 20.

فمريم من ذريته أيضاً، أي إن يسوع المسيح يعود في نسبه إلى هارون أول كهنة بني إسرائيل.

ونسبة مريم إلى نسل داود، أمر متجاوز لما ورد في الأناجيل نفسها. وقد كان عمدة القائلين بذلك، أن يوسف خطيب مريم وهو من بيت داود، وبالتالي فمريم أيضاً من البيت عينه بدليل ما ورد في سفر العدد (36/ 8)، من قوله: «**كل بنت ترث ميراثاً من أسباط بني إسرائيل فلتكن زوجة لواحد من عشيرة سبط آبائها**»، وما ذكر في إنجيل لوقا (2 / 4 -5)، حيث قال: «**صعد يوسف من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لأنه كان من بيت داود ومن عشيرته، ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة**». فتبين من هنا أن مريم كانت من بيت داود، لأنها صعدت مع يوسف إلى مدينة بيت لحم بالسبب نفسه الذي صعد يوسف لأجله وهو كون كل منهما من بيت داود.

وهو استدلال مردود لأسباب:

- إن ما ذكره نقلا عن سفر العدد (36: 8) تكملته في المقطعين (8 و9): «**لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه، فلا يتحول نصيب من سبط إلى سبط آخر بل يلازم أسباط بني إسرائيل كل واحد نصيبه**». فهذا النص في التوراة خاص بمسألة الإرث. وقد ألزم كل بنت ترث ميراثاً أن تتزوج من عشيرتها نفسها، فهو إذاً لا يخص المرأة التي لا تملك ميراثاً، إذ إنها حرة بالزواج من عشائر بني إسرائيل.

- بعد موت سليمان انقسمت مملكته إلى قسمين هما مملكة يهوذا بزعامة رحبعام بن سليمان، وتضم سبطي يهوذا بنيامين وكهنة

الهيكل وهم سبط لاوي. ومملكة إسرائيل وتضم بقية الأسباط بزعامة يربعام الإفرايمي. فعاشت هذه الأسباط الثلاثة سوية وكونت شعباً واحداً. وبعد سبي نبوخذنصر الكلداني لمملكة يهوذا إلى مدينة بابل عام 586 ق.م، ازداد اندماج هذه الأسباط الثلاثة، التي كونت الشعب اليهودي لا سيما بعد عودتهم إلى مدنهم في عهد كورش.

ومن هنا يتبين لنا بشكل جلي أن ذهاب مريم العذراء مع يوسف النجار، إلى مدينة واحدة للتسجيل في الإحصاء الذي دعا إليه أوغسطس قيصر، لا يقتضي كونهم من سبط واحد. وذلك بسبب الاندماج الحاصل وقتها بين مختلف أسباط بني إسرائيل، إذ إن المدن اليهودية أصبحت تحوي خليطاً من الأسباط. وهكذا يتضح تهافت المزاعم القائلة بأن نسب مريم العذراء ينتهي لسبط يهوذا.

أما يسوع فقد أعلن بنفسه عن حقيقة نسبه وأنه ينتمي إلى سبط لاوي. ففي إنجيل متى يقول: «وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: **ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له ابن داود قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً؟ قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة**».

*- بولس الرسول ونسب يسوع[1]

هنا تثار قضية أخرى، تكمن في رفض الكتبة كهنوت يسوع، لما

(1) اسمه شاول من أصل عبراني، وتعني: «أطلب الله»، وسمي بعد ذلك ببولس =

شاع أن يوسف النجار من ذرية داود و الكهنة من ذرية لاوي. وتم رفض نبوة يسوع لأنهم كانوا ينتظرون نبياً مخلصاً دنيوياً وسياسياً يعيد لهم أحلامهم في إقامة مملكة داود الموعودة. ولأن يسوع لم يعمل أو يدعُ لإعادة مملكة داود كما سنرى في مباحث قادمة عند الحديث عن فكرة المسيحانية في الفكر المسيحي.

وفي المقابل وجدنا بولس وأتباعه، بعد أن تبنوا عقيدتهم في ألوهية يسوع أخذوا يردون على الكتبة واليهود. ليثبتوا كهنوت يسوع المسيح ولكن بصيغة أخرى، يجعلون فيها من يسوع قرباناً كهنوتياً يفتدي المؤمنين به من الخطيئة.

وتعتبر الرسالة إلى العبرانيين التي كتبها بولس أو أحد تلامذته خير مصدر لفكرة كهنوت المسيح وفق العقيدة البولسية وأبرز ما جاء فيها هو فكرته في انتقال الكهنوت من سبط لاوي إلى سبط يهوذا، فقال: «**فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال وقد أخذ الشعب الناموس تحته إذن أية حُاجة كانت بعدُ أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق. ولم يقل على رتبة هارون، لأن عند تحول الكهنوت لا بد من تحول الناموس، والحال أن الذي يقال هذا فيه إنما نسبه في سبط آخر لم يلازم أحد منه المذبح لأنه من الواضح أن ربّنا خرج من يهوذا من السبط الذي لم يصفه موسى بشيء من الكهنوت، ومما يزيد الأمر وضوحا أنه يقوم على مشابهة ملكي صادق كاهن**

= في اليونانية. ولد في تارس من أبوين يهوديين من قبيلة بنيامين. كانت مهنته نساج خيام، وتلقى في أورشليم تربية حاخامية من قبل Gamaliel الفريسي المشهور. انظر ترجمته في *Dictionnaire de la bible*، مادة Paules، ص 334، وانظر كتاب: **بولس الرسول: حياته لاهوته أعماله**، ص 37.

آخر لا يُنصب حسب ناموس وصيةٍ جسدية بل حسب قوة حياة لا تزول، لأنه يشهد أن أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق». الرسالة إلى العبرانيين (7: 11 – 17).

وهذا تمويه للواقع لأن ملكي صادق المذكور في سفر المزامير (110: 4)، قد انتهت به مرحلة تاريخية وبدأت أخرى بظهور النبي إبراهيم. واللقاء بين ملكي صادق والنبي إبراهيم يرمز لبدء تلك المرحلة الجديدة (سفر التكوين (14: 18)).

ومن التمويهات في ادعاءات أتباع بولس ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين: (7: 9 و11) ونصه: «**حتى أقول كلمة إن لاوي أيضاً الآخذ الأعشار قد عشّر بإبراهيم. لأنه كان بعد في صلب أبيه حين استقبله ملكي صادق. فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال. إذ الشعب أخذ الناموس عليه. ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق ولا يقال على رتبة هارون**».

وكذلك كان يهوذا في صلبه أيضاً. فهل يعنون أن يسوع المسيح كان في صلب يهوذا عندما زنى مع كنته ثامار زوجة ابنه عِيْرَ فأنجبت له ابنه فارص. وهو من الأجداد المزعومين ليسوع المسيح؟!

وعليه فقد حاول بولس وأتباعه حشو أفكار الناس بفكرة أن يسوع هو من ذرية داود ومن ثمّ قاموا بحشو الأناجيل التي كتبوها والرسائل بتلك الفكرة، ولأن هناك من كان يعرف حقيقة يسوع المسيح ونسبه اللاوي فقد بدأت معارضة أفكار بولس وأتباعه بنشر النسب الحقيقي ليسوع بين الناس من قبلهم. فأثاروا بذلك بما لديهم من حجج وبراهين مشاكل في صفوف المؤمنين وأتباع بولس خاصة. وهكذا فقد عمد بولس إلى التحذير من الخوض في مسألة الأنساب فقال في

إحدى رسائله إلى تيموثاوس (1: 4): «**وتوصي بعض الناس ألا يعلموا تعليماً مخالفاً ولا ينصرفوا إلى خرافات وأنساب ليس لها نهاية تثير المجادلات أكثر مما تعمل للتدبير الإلهي المبني على الإيمان**».

المبحث الثالث
تـناقضات النسـب

1- النسب عند متى

- رجع البشير متى بتسلسل المسيح إلى يوسف بن يعقوب، وقسم سلسلة النسب إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها يحتوي على 14 اسماً والأقسام الثلاثة هي للآباء، ثم الملوك، ثم نسل الملوك. واعتبر البشير متى أن داود واحد من الآباء، كما اعتبره واحداً من الملوك. ونسب متى المسيح إلى إبراهيم، لأنه كتب إنجيله لليهود.

أما البشير لوقا فقد رجع بتسلسل المسيح إلى العذراء مريم، وقال إن يوسف هو ابن هالي (والد مريم) (لوقا 3/ 23). فأطلق على يوسف اسم والد زوجته. ونسب لوقا المسيح إلى آدم، فالله. وقال لوقا إن المسيح على ما كان يُظنّ كان ابن يوسف خطيب مريم العذراء.

- ورد في متى (1/ 11) ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل: في هذا الكلام ثلاثة اعتراضات:

*- إن يوشيا لم يكن أباً ليكنيا، بل كان جدّاً لهذا الأمير (كما في أخبار 3: 15و 1) وأولاد يوشيا هم يوحنان ويهوياقيم وصدقيا وشلوم، وابنا يهوياقيم يكنيا وصدقيا.

*- لم يكن ليكنيا إخوة، أو بالحري لم تُذكر له إخوة.

*- مات يوشيا قبل سبي بابل بعشرين سنة، فلا يصح أن يكون يكنيا وإخوته وُلدوا عند سبي بابل.

- الزمان من يهوذا إلى سلمون قريب من 300 سنة، ومن سلمون إلى داود 400 سنة. وكتب متى في زمان الأول سبعة أجيال، وفي الزمان الثاني خمسة أجيال. وهذا غلط بداهة، لأن أعمار الذين كانوا في الزمان الأول كانت أطول من أعمار الذين كانوا في الزمان الثاني.

- الأجيال في القسم الثاني من الأقسام الثلاثة التي ذكرها متى هي 18 وليس 14، كما يظهر من (أخبار الأيام الأول الإصحاح 3). وورد في متى (1/ 8) أن يورام ولد عزيا، وفي هذا خطأين:

*- الأول: أنه يُعلم منه أن عزيا ابن يورام، وهو ليس كذلك لأنه ابن أخزيا بن يوآش بن أمصيا، والثاني: أن الثلاثة كانوا من الملوك المشهورين وأحوالهم مذكورة في ملوك 2 (8 و12 و14)، أخبار2 (22 و24 و25)، ولا سبب لإسقاط هذه الأجيال سوى الغلط.

- ورد في متى: (1/ 12) أن زربابل ابن شألتئيل وهذا خطأ لأنه ابن فدايا، وابن الأخ لشألتئيل كما في أخبار 1 (3: 17 و19).

- ورد في متى 1/ 13: أن أبيهود ابن زربابل وهذا خطأ، لأن زربابل كان له خمسة بنين كما في أخبار 1 (3: 19)، وليس فيهم أحد يحمل هذا الاسم.

- ورد في متى 1: 17: أن جميع الأجيال من إبرهيم إلى داود 14 جيلاً. ومن سبي بابل إلى المسيح 14 جيلاً. ويُعلم منها أن بيان نسب المسيح يشتمل على ثلاثة أقسام، كل قسم منها يشتمل على أربعة عشر جيلاً. وهذا خطأ ظاهر، لأن القسم الأول ينتهي بداود. وإذا كان داود داخلاً في هذا القسم يكون خارجاً من القسم الثاني.

ويبتدىء القسم الثاني لا محالة من سليمان، وينتهي بيكنيا. وإذا دخل يكنيا في القسم الثاني كان خارجاً من القسم الثالث. ويبتدىء القسم الثالث من شألتئيل وينتهي بالمسيح، وفي هذا القسم لا يوجد إلا 13 جيلاً[1].

2- النسب عند لوقا

- لم يكتب لوقا بإلهام من الروح القدس لأنه يقول في فاتحة إنجيله (لوقا 1: 1-4): «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقَّنة عندنا، كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة، **رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبَّعتُ كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب** على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس». وهذا يطرح إشكالية تعدد المصادر التي تحدثنا عنها آنفاً.

- يتبين أن أليصابات من سبط لاوي كما جاء في لوقا 1/ 5، ومريم نسيبتها فلا داعي إلى تحويل هذا النسب إلى داود، فهي من سبط لاوي.

- بمقارنة نسب المسيح الذي في إنجيل متى بالبيان الذي في إنجيل لوقا، نجد مجموعة من الاختلافات لعل أهمها:

*- يقول متى إن يوسف ابن يعقوب، ويقول لوقا إنّه ابن هالي.

*- يقول متى إنّ المسيح من ذرية سليمان بن داود، ويقول لوقا إنه من أولاد ناثان بن داود.

---

(1) **شبهات وهمية حول الكتاب المقدس** للقس منيس عبد النور: Electronic Christian Library. www.defa3yat.com

*- يقول متى إن آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل ملوك ومشهورون، ويقول لوقا إنهم ليسوا ملوكاً ولا مشهورين ما عدا داود وناثان.

*- يقول متى إنّ شألتئيل ابن يكنيا، ويقول لوقا إنه ابن نيري.

*- يقول متى إنّ ابن زربابل هو أبيهود، ويقول لوقا إنه ريسا.

*- يقول متى إن من داود إلى المسيح 26 جيلاً، ويقول لوقا إنها 41 جيلاً.

- كتب متى نسب يوسف، وذكر لوقا نسب مريم. و يوسف من أقارب هالي وهالي ليس له ابن، فنُسبت القرابة إليه. وعلى هذا التقدير فالمسيح يكون من أولاد ناثان لا من أولاد سليمان.

- النسب يتحدث عن المسيح، وبالتأمل نجد أن يهوياقيم بن يوشيا لما أحرق الصحف التي كتبها باروخ من فم إرميا النبي، نزل الوحي إلى إرميا (36/30): «قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا: «لا يكون له جالس على كرسي داود». مع أنه ذُكر في إنجيل لوقا 1/32 عن المسيح: «أن الرب الإله سيعطيه كرسيَّ داود أبيه»»[1].

---

(1) **شبهات وهمية حول الكتاب المقدس.**

ومن الكتب الذين تناولت سلسلة النسب بالنقد والتحليل ينظر:

- **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، لموريس بوكاي، بيروت، دار الكندي، 1978، ص 113.

- *Jésus*, Jacques Duquesne, p 38

- *Histoire de Jésus? Necessité et limites d'une enquête*, Etienne Nodet, p 122.

المبحث الرابع
القرآن الكريم والنسب

كما أكدنا سابقاً فالقرآن الكريم شأنه شأن الكتب المقدسة عموماً، يحمل رسائل وإشارات من خلال ما تحويه هذه القصص التي يضعها للعبرة وأخذ النموذج الحي من الواقع الإنساني آفاقاً كان هذا الواقع أم أنفساً. وهذا هو السبيل لكي يتبين للناس صدق ما أنزل إليهم من بطلانه. وهكذا فالقرآن الكريم يطرح من خلال منظوره سلسلة النسب لا ليؤكد نبوءات المسيح التوراتية، ولا ليخلد ويملأ الذاكرة الدينية بالأساطير وتطلعات النفس الإنسانية إلى المجتمع الفاضل والمملكة العادلة.

وإنما يطرح سلسلة النسب ليؤكد أن طهارة النسب كفيلة ببراءة مريم، لا من زاوية الترفع على الواقع البشري المعرض للأخطاء والزلات، ولكن من زاوية أن الطيب لا يأتي إلا بطيب، وأن اصطفاء هذه الأسرة لم يكن ولن يكون اصطفاء يتجاوز معطيات النفس البشرية.

إن سلسلة النسب في القرآن الكريم تطرح قضية تمهيدية لبراءة مريم، فشرف النسب شرف لها، وخبثه خبث لها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. فالتي كانت تنتمي إلى مثل هذا الوسط الممتد في

(1) سورة آل عمران، الآيتان 33 و34.

أصوله إلى كرم الأخلاق وحسن السيرة، لا بد وأن تنشأ بين أحضانه راضية مرضية، تنأى بنفسها على أن تلوثه بأي جرم أو تهمة. وهو يخاطب ذوي المنطق البسيط الذي يؤمن بأن سلامة الأسباب تؤدي إلى سلامة النتائج، وعلى من شك في الأمر، وارتاب قلبه في صدق مريم أو مستلزمات ولادتها، فعليه بالآية الكبرى في ولادة المسيح، وهي ما تحدثنا عن أبعادها ومراميها من خلال ما نفهمه من نصوص القرآن وتجلياته في الواقع الإنساني. والشك حق للإنسان يكفله له العقل قبل أن تكفله له نصوص الدين. والله أعلم.

الفصل الرابع

قصة الولادة والنبوءات التوراتية

هذا الفصل سيكون خاتمة لما سبق ذكره من فصول ومباحث وسنكشف من خلاله عن مدى التأثير اليهودي المسيحي من خلال هذه القصة. وكما سنرى فأحداث هذه القصة لم تكن بريئة بمعنى حياديتها وموضوعيتها. بل كانت في كل جزء من أحداثها، وكل تطور من قضاياها ومضامينها تطرح تصورات، وتهدف إلى أهداف ومعتقدات. وهذا ما سنكشف عنه خلال ما سيأتي من مباحث قادمة. ولعل أهم معطى ترمي إليه هذه القصة بكل تفريعاتها وتشعباتها هي فكرة المسيح المنتظر. وهذا ما سيجعلنا نتحدث عن هذه الفكرة بما يضمن فهماً أولياً لمقتضياتها وأبعادها المختلفة.

المبحث الأول
فكرة المسيح المنتظر وقصة الولادة

ارتبطت فكرة المسيح المخلص، ارتباطاً وثيقاً بالفكر الديني عموماً، واليهودي منه على وجه الخصوص، وهي فكرة ضاربة في أعماق التاريخ، عبّرت في فترات تاريخية مختلفة عن عجز الكائن الإنساني، على الإحاطة بفكرة الإله المتعالي، عن مدركات الإنسان المادية، والمتجاوز لحدود الطبيعة والتاريخ. كما عبرت بشكل من

الأشكال عن مرحلة جنينية في التفكير الإنساني، لم تستوعب بعد فكرة الاختيار والحرية الإنسانية، في ممارسة حركة التاريخ وفق سنن الله التي لا تبديل لها.

هذا الوضع الجنيني في الفكر الإنساني، دفع بالإنسان ليفسر حركة التاريخ وفق سقفه المعرفي الضيق، ليجعل الإله حالاً في الطبيعة متحكماً في قوانينها، هذا الإله الذي ينهي كل المشاكل، تارة بتدخله المباشر والفوري، وتارة أخرى بإرسال المخلص (Le Christ) في الفكر الغنوصي الوثني.

وبالرغم من أن فكرة انتظار المسيح قديمة قدم التاريخ، إلا أنها عرفت نضجها وكمال نموها مع الفكر الديني خاصة الفكر اليهودي. هذا الفكر - الذي شب وترعرع في أحضان السبي البابلي- وجد فيها تعبيراً عن أمانيه وتطلعاته، نحو عالم تلتئم فيه طموحات الشعب اليهودي بلمِّ الشتات، وتحقيق الوعود الإلهية لشعب الله المختار[1].

بعد ذلك أخذت الفكرة في التدرج والاكتمال مع المسيحية، التي آمنت بيسوع مسيح الرب مخلصاً، والتجأت بذلك إلى تحقيق النبوات التوراتية في شأن المسيح. واكتمل المشروع بالإسلام، الذي نجد فيه فكرة الانتظار حاضرة في الوجدان الإسلامي. هذه العقيدة التي سترسخ جذورها، من خلال روايات نسبت إلى رسول الله، تؤكد مجيء المخلص في آخر الزمان حاملة المفهوم التوراتي والإنجيلي، لهذه العقيدة مع قليل من التحوير.

---

(1) **الموسوعة اليهودية** لعبد الوهاب المسيري، نسخة إلكترونية www.4shared.com/zip/.../_____.htm

من أجل ذلك نقوم بتتبع هذه العقيدة في الأديان الثلاثة، معتمدين في ذلك على المصادر الأصلية لكل دين. وستكون مقاربتنا لهذا الموضوع على الشكل الآتي:

1- مفهوم المسيحانية

الاسم الفرنسي جاء من الاسم العبري (Massiah)، وتعني الممسوح بالزيت، والمنقذ، والفادي، الذي سيظهر في نهاية الزمن. وقد استعمل هذا اللفظ أولاً في حق الكاهن والملوك، والأشخاص ذوي المهمات الإلهية، حيث كان اليهود يمسحون هؤلاء بالزيت المقدس - على غرار الثقافات السابقة - قبل تنصيبهم من أجل المكانة التي تبوؤوها، وكذلك لأجل المباركة[1].

ويمكن أن نقول بأن لفظ المسيح، - كجميع ألفاظ اللغة-، اكتسب بتوالي العصور والثقافات معنى جديداً تجسد بشكل واضح في شخص مرسل من الله، له قدرات خاصة يتمتع بها دون غيره من الناس. إنسان أرضي بطبيعة إلهية، استطاعت طبيعته أن تجمع بين الإلهي والبشري في شخص «ابن الإنسان». هذا الملك من سلالة داود سيعود ليعيد مجد مملكة إسرائيل، ويقضي على أعدائهم، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعة، وغيرها من المفاهيم التي لبسها هذا اللفظ من جراء أحداث متوالية مر بها الشعب الإسرائيلي.

---

(1) انظر المزيد عن هذا اللفظ بالمعجمين الآتيين:

Dictionnaire de la bible et des religions, matière Messie, p 291.

Dictionnaire du judaisme, matière Messie.

من خلال هذه الإطلالة السريعة على بعض معاني لفظ المسيح، وتطوره عبر العصور، نصل إلى أن هذه السلسلة المتوالية في توظيف مصطلح المسيح تستعيد بشكل كبير تاريخ التجسدات المتتابعة للفكرة المسيحانية على مر الحقب التاريخية، منذ المفهوم الديني اليهودي والمسيحي، وصولاً إلى المفاهيم المقارنة الأنثروبولوجية- التاريخية، والاجتماعية السياسية المعاصرة مروراً بالمسيحانية العلمانية، الثورية، أو الوطنية التي ولدت مع عصر الحداثة.

إذاً، فمصطلح المسيحانية يشير إلى الاعتقاد الديني بعودة شخص يفدي الناس مرسل لتأسيس عصر جديد للسلام، والسعادة والعدالة، التي تطبع نهاية النظام الحالي للعالم. هذا المعتقد الذي أصبح يقدم بعناوين مختلفة بدءاً بالإيمان اليهودي والمسيحي وصولاً إلى الإيمان الإسلامي مع المهدوية مثلاً[1].

2- المسيح في الديانة اليهودية

المسيح في العهد القديم لفظ مشترك كما رأينا سابقاً، كان يشير في البداية إلى الملك الممسوح من طرف الله. وبعد ذلك أخذ اللفظ حمولات ثقافية متعددة جعلته يكتسب معنى المخلص المقدس، والمنقذ المرسل من الله ليحمل رسالة السلام إلى العالم.

*- المسيح الملك (Messianisme royal)

إن أول مسح تطالعنا به التوراة هو ما قام به يعقوب في سفر

---

(1) راجع مادة messianisme، في *Dictionnaire international des termes littéraires*، على الموقع الآتي: www.ditl.info

الخروج: «**فنصب يعقوب عموداً في المكان الذي فيه تكلم معه عموداً من حجر. وسكب عليه سكيباً وصب عليه زيتاً. ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل**». وفي سفر الخروج (الإصحاح 30- 23 -27): «**وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب. مرّاً قاطراً خمس مئة شاقل وقرفة عطرة نصف ذلك مئتين وخمسين وقصب الذريرة مئتين وخمسين وسليخة خمس مئة بشاقل القدس. ومن زيت الزيتون هيناً. وتصنعه دهناً مقدساً للمسحة. عطر عطارة صنعة العطّار. دهناً مقدساً للمسحة يكون. وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل آنيتها والمنارة وآنيتها ومذبح البخور**». وبفضل هذه السلطة الممنوحة إلى الشخص الممسوح، كان الملك ينعم بالاحترام والتبجيل لوظيفته النيابية عن الله في الأرض.

ولعل أول تنصيب ملكي في التوراة كان لشاول، الذي أصبح مسيحاً للرب على شعب إسرائيل كما جاء في سفر صموئيل 10- 5 - 8: «**بعد ذلك تأتي إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبؤون. فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر. وإذا أتت هذه الآيات عليك فافعل ما وجدته يدك لأن الله معك. وتنزل قدامي إلى الجلجال وهو ذا أنا أنزل إليك لأصعد محرقات وأذبح ذبائح سلامة. سبعة أيام تلبث حتى آتي إليك وأعلمك ماذا تفعل ودُعي بـ «مسيح الرب»**».

ثم تتالى بعد ذلك هذا الطقس، وذلك بتنصيب الملك داود أيضاً، إثر مغادرة روح الرب لشاول من جراء مخالفته للأمر الإلهي في

قتل شعب العماليق، كما جاء في سفر صموئيل: «**أتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا وأخبروا داود قائلين إن رجال يابيش جلعاد هم الذين دفنوا شاول**». صموئيل2-5، وكذا وريثه سليمان: «**فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان. وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحي الملك سليمان**». ليستمر هذا الطقس في سلالة سليمان التي ارتقت إلى سدة الحكم في إطار أزمة سياسة: «فأعطى الكاهن لرؤساء المئات الحراب والأتراس التي للملك داود التي في بيت الرب. ووقف السعاة كل واحد سلاحه بيده من جانب البيت الأيمن إلى جانب البيت الأيسر حول المذبح والبيت حول الملك مستديرين. وأخرج ابن الملك ووضع عليه التاج وأعطاه الشهادة فملكوه ومسحوه وصفقوا وقالوا ليحي الملك». (ملوك 2 -10-12).

بعد وفاة سليمان أخذ مفهوم المسيحانية الملكية يتغير شيئاً فشيئاً، حيث تحول طقس المسح من مسحته الربانية، إلى طقس عادي يقوم به كبيرُ الكهنة من أجل تنصيب الملك الجديد الذي انتقل إليه المنصبُ بالوراثة أو بالاغتصاب، هذا التنصيب الذي لا يشير إلى مراسيمه الكتاب المقدس، إلا إذا استثنينا إشارته إلى الملوك الذين ملكوا أورشليم أو السامرة، وكم امتدت فترة حكمهم، كما في سفر الملوك 22-51: «**أخزيا ابن اخآب ملك على إسرائيل في السامرة في السنة السابعة عشرة ليهوشافاط ملك يهوذا ملك على اسرائيل سنتين**».

وبعد زوال مملكة السامرة وتحولها إلى ولاية آشورية سنة 721 ق م، وكذلك انهيار مملكة يهوذا سنة 578 ق م، وتحولها إلى ولاية

بابلية، بدأت المسيحانية تأخذ شكلاً آخر تمثل في التحول الجذري في النظرة إلى «مسيح الرب» بصفته ملكاً يحكم شعب الله المختار في الحياة الدنيا، إلى مفهوم أصبحت فيه شخصية المسيح شخصية مستقبلية تحمل آمال الشعب المختار وتعيد أمجاده الضائعة، وتدين كل الأغيار، وترجع الأرض الموعودة لجمع الشتات والتيه. ومن هنا نشأ المفهوم الأخروي **"Eschatologique"** للمسيحانية، والذي سنتحدث عنه لاحقاً[1].

*- المسيح النبي (Messianisme prophétique)[2]

والنبي في المفهوم العبري تعني الشخص الذي يتحدث ويتكلم باسم الإله وينوب عنه بواسطة الوحي. ففي سفر الخروج يقول الله لموسى: «**انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك**» (خروج 7: 1)، أي المتكلم عنك. وبالرغم من أن الله قد اختار لكلامه مجموعة من شخصيات العهد القديم (أبيمالك (تكوين 20: 3- 7)، فرعون (تكوين 41: 1- 8و 25)، نبوخذ نصر (دانيال 2: 1- 45))، إلا أنهم لا يدخلون في مفهوم النبوة، لعدم تحقق شروطها فيهم ولعل أهمها تبليغ الناس برسالة الله، والاطلاع على أمور المستقبل.

والدارس للعهد القديم يجد فيه نبوءات متعددة عن المسيح النبي أو المسيا، هذه النبوءات التوراتية التي وجد فيها مجموعة من اليهود

---

(1) انظر ما كتبه فراس السواح على شبكة الإنترنت بعنوان: **المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن**: www.maaber.org

(2) راجع حول مفهوم النبي: *Dictionnaire du judaisme*, matière Prophète.

والنصارى، مطابقة تامة مع المسيح، الذي أكد بنفسه وفي العديد من المواضع بأنه نبي مرسل من طرف الله: «**وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته**» (متى 13: 57)، وبأن ما أخبر به هو من الرب الأب: «**إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم. لكن الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم. ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الأب**» (يوحنا 8: 26)، وكانت الجموع ترى فيه نبياً: «**فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل. ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام**» (متى 21: 11)[1].

*- المسيح الكاهن (Messianisme Sacerdotal)

ارتبط طقس التكهن أو الكهنوتية في العهد القديم بالتقليد اللاوي، (اللاويين 8-11): «**وللاوي قال تميمك وأوريمك لرجلك الصدّيق الذي جربته في مسّة وخاصمته عند ماء مريبة**»، هذا الطقس الذي يعكس ويفسر الوحي الإلهي وتقديس القربان. والعهد القديم تنبأ أيضاً بأن المسيح سيكون كاهناً: «**أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً**». (مزمور 110: 4). ويتضمن عمل الكاهن تقديم الذبائح: «**لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس في ما للّه لكي يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا قادراً أن يترفق**

---

(1) انظر حول وظائف المسيح كتاب: *Jésus de Nazareth*، لـ Bruno Forte، ص 65.

بالجهال والضالين إذ هو أيضاً محاط بالضعف ولهذا الضعف يلتزم أنه كما يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه». (عبرانيين 5: 1-3)، إضافة إلى عمل الفداء الذي سيظهر من خلاله الجنس البشري من الخطيئة الأصلية، ليس بتقديم قرابين من تيوس وعجول، ولكن بتقديم نفسه فداء على الصليب. **«وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً. لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي»** (عبرانيين 13-9)[1].

*- مفهوم اليهود الإسكاتولوجي (Messianisme eschatologique)[2]

تعني كلمة Eschatologie: مذهب النهايات الأخروية للإنسان، وهو علم يدرس مصير الإنسان بعد الموت، ومحاكمته، وهلاكه، وأحداث نهاية العالم. وبالنسبة إلى المسيحيين نهاية العالم ليست فناء بل تجديداً، إنه مجيء عالم متجانس مشترك لعودة المسيح، وقيامة الأموات[3].

---

(1) المقالة السابقة، وراجع كتاب: *Jésus de Nazareth*، ص 72.

(2) بخصوص Messianisme eschatologique راجع كتاب: *Messianisme et histoire juive*، لصاحبه Benjamin Gross

(3) انظر *Dictionnaire culturel du christianisme*, Matière Eschatologie p 123، وللتوسع أكثر راجع المادة نفسها، *Dictionnaire des religions*, p 527

وكان تأثير هذا المذهب على العقل اليهودي قوياً، حيث تمت المزاوجة بين فكرة مجيء المسيح المنتظر، وفكرة المخلص الزرادشتية. هذه الفكرة التي كتب لها الانتشار إبان فترة سقوط الإمبراطورية البابلية سنة 539، وتمحورت حول المخلص الزرادشتي، الذي سيقوم بمعركة فاصلة بينه وبين الشيطان تنتهي بانتصار هذا الأخير، على هذه القوة الممثلة للشر في الأرض، حيث سيبتدئ العصر الذهبي الذي سينعم فيه الإنسان بحياة أبدية يملؤها الخير المطلق.

ولإبراز مكانة هذا المسيح في تصور اليهود الإسكاتولوجي، كان لزاماً أن يكون هذا المسيح ذا طابع خارق للعادة، فهو يولد من عذراء: «**ويعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**» (إشعياء 7-14)، وهو من نسل داود الذي سيحكم العالم إلى الأبد: «**لا أنقض عهدي، ولا أغيِّر ما خرج من شفتي. مرة حلفت بقدسي أني لا أكذب لداود. نسله إلى الدهر يكون، وكرسيه كالشمس أمامي**» (المزمور 89)، وهو الابن الذي تبناه الله: «**إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أنت ابني. أنا اليوم ولدتك إسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكاً لك**». وهو المحمي من طرف الله: «**مبارك الرب لأنه سمع صوت تضرعي. الرب عزّي وترسي عليه اتكل قلبي فانتصرت. ويبتهج قلبي وبأغنيتي أحمده. الرب عزّ لهم وحصن خلاص مسيحه هو**» (مزمور 28-6-8). وهو الذي يتضرع الناس إلى الله من أجله: «**يا رب إله الجنود اسمع صلاتي وأصغ يا إله يعقوب. سلاه. يا مجننا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك**» (مزمور 84- 8-9). وهو

الذي يُدعى ربّاً وسيداً، ويجلس عن يمين الرب: «**قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدمي**»، وهو ابن الإنسان الذي سيمتثل في حضرة الربِّ، الذي يلقِّبه النص في سفر دانيال 7-9-14 بقديم الأيام: «**كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة. نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين وفتحت الأسفار كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار. أما باقي الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض**».

هذه بعض الصفات الأساسية التي حملها مسيح آخر الأزمنة في التصور اليهودي. وساعد على نموها وانتشارها التلاقح الحضاري اليهودي الفارسي من خلال فكرة المخلص الزرادشتية كما رأينا سابقاً[1].

---

(1) راجع مقالة فراس السواح: «المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن»، وانظر حول هذا الموضوع: **الموسوعة اليهودية والصهيونية** لعبد الوهاب المسيري 5/ 294. وتجدر الإشارة إلى أن هناك مسيحانية تنسب أيضاً إلى ابن ميمون =

3- المسيح في الفكر المسيحي

*- يسوع وشخصية المسيح

كان لحياة يسوع تأثيراً عميقاً على أهل زمانه. ولعل ولادته المعجزة وطفولته الخارقة أحد أكبر الدواعي في هذا التأثير العميق. وبفعل هذه العوامل أخذ الناس يتساءلون ويتطلعون من خلاله إلى المسيح المنتظر: «**هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت. ألعل هذا هو المسيح**» (يوحنا 4-29). أو متسائلين عن أصل سلالته الداودية باعتبارها منبعاً لخروج المسيح: «**فبهت كل الجموع وقالوا ألعل هذا هو ابن داود**» (متى 12-23).

وظل مجموعة من الناس يرون في شخصية يسوع مسيحهم المنتظر، بالرغم من الممانعة الصريحة للسلطات اليهودية آنذاك: «**قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود. لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع**» (يوحنا 9-22). فكان الناس يرون فيه ملكهم الموعود: «**وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده**» (يوحنا 15-6). كما كان يرفض كل لقب يوحي بأنه مسيح، وفضل تسمية نفسه بابن الإنسان: «**الحقَّ الحقَّ أقول لكم من**

= الفيلسوف الكبير نقلتها عنه المعاجم الشارحة لكلمة Messianisme، مثل *Dictionnaire de la bible*. وانظر بعض معالم هذه المسيحانية بمقالة: *Le messianisme comme utopie réaliste: défi ou dilemne maimonidien*, Shlomo Elbaz, le colloque de Cordoue : Ibn Rochd, Maimonide, Saint Thomas ou la filiation entre foi et raison, Edition Climats, association freudienne internationale, 1992.

الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (يوحنا 1-51). وكانت الشياطين تصرخ قائلة: «**أنت المسيح ابن الله، فكان ينتهرها ولا يدعها تتكلَّم**» (لوقا 4: 41). وعندما قال له بطرس: «**أنت المسيح ابن الله الحي**»، أوصى تلامذته ألا يخبروا أحداً بأنه المسيح، ثم راح يحدثهم عن ابن الإنسان وعن مهمته في هذا العالم وعن قدومه الثاني في آخر الزمان، قائلاً: «**فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذٍ يجازي كلَّ واحد حسب عمله**» (متى 16: 13-28).

وفي ما يتعلق بلقب «ابن داود»، فقد أعلن يسوع صراحة أن المسيح ليس من سلالة داود عندما قال لجماعة من الصادوقيين: «**كيف يقولون إن المسيح هو ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: «قال الرب لربّي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»؟ فإذا كان داود يدعوه ربّاً فكيف يكون ابنه؟**» (لوقا 20: 41-44)[1].

*- يسوع ودور ابن الإنسان

فكما رأينا سابقاً فقد كان يسوع يرفض وبشكل صريح لقب المسيح نظراً إلى حساسيته السياسية لدى الجماعات اليهودية الموجودة آنذاك. وآثر أن يكون ابن الإنسان الذي يحمل دلالات عميقة تتجاوز الأفق السياسي الضيق، إلى أفق الرسالة الإلهية العالمية التي تحمل للإنسان الخير والرحمة ففي إنجيل لوقا (4: 18): «**وجاء إلى الناصرة**

(1) راجع أيضاً مقالة فراس السواح: «المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن»: www.maaber.org

حيث نشأ، ودخل المجمع يوم السبت على عادته، وقام ليقرأ. فدُفِعَ إليه سِفْرُ إشعيا النبي. ولما فتح السِّفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: «روح الربِّ عليَّ لأنه مسحني لأبشِّر المساكين، وأرسلني لأشفي منكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعُمْي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرُز بسَنَة الربِّ المقبولة. ثم طوى السفر وسلَّمه للخادم وجلس، وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه، فابتدأ يقول لهم: اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم».

وهكذا يفتح يسوع بهذه الكلمات عهداً جديداً لمفهوم المسيح المنتظر. هذا العهد لن يقدم فيه يسوع نفسه ملكاً - ترى فيه بعض الجماعات اليهودية مسيحها الذي سيحقق لها مسيحانية سياسية، ترى الإطاحة بالرومان غاية بذاتها-. ولكنه كان على العكس من ذلك إذ رأى في نفسه الشخص الممنوح من الله صفة التبليغ رسالة المحبة والإخاء، وتحقيق الوعود الإلهية بشأن شعب الله المختار.

فبهذا الإعلان الذي ميز رسالة المسيح عن سابقاتها، استطاع هذا الأخير أن يميز ملكوته الخاص عن ملكوت إله إسرائيل الدموي والعنصري. فملكوت يسوع هو ملكوت روحاني يستجمع كل الأمم والشعوب دون استثناء، وتذوب فيه كل العنصريات والأحقاد لتنصهر في بوتقة المحبة والإخاء بين الإنسانية جمعاء: «**ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة. فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حق أجاب يسوع وقال لهم وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب. وأما أنتم فلا تعلمون**

من أين آتي ولا إلى أين أذهب. أنتم حسب الجسد تدينون. أما أنا فلست أدين أحد وإن كنت أنا أدين فدينونتي حق لأني لست وحدي بل أنا والأب الذي أرسلني. وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الأب الذي أرسلني. فقالوا له أين هو أبوك. أجاب يسوع لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً» (يوحنا 12-19).

إن إعلان يسوع عن ملكوت الله كان وراءه القصة التوراتية بشأن الخطيئة الأولى. فالإعلان عن هذا الملكوت كان هدفه أن تُمثِّل إسرائيل إنسانية الله الحقيقية السوية، كما أراد الله لا كما فعل آدم وزوجه. إنه عصر الصلح مع البشرية عن طريق الخلاص من الخطيئة الأولى التي اقترفها آدم وأورثها ذريته من بعده. هذا كله مدعاة لمجيء ابن الإنسان في آخر الزمان لإدانة المذنبين وإثابة المحسنين: «**ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار**» (متى 25-31).

وكما أن يسوع بإعلانه لهذا الملكوت الروحاني، قد افتتح نظاماً دينيّاً جديداً. فالشريعة التوراتية لم تعد سارية المفعول بحلول العهد الجديد، وإنما ستأخذ مساراً آخر مغايراً ومختلفاً عن سابقاتها خاصة في العصر الموسوي. ولنستمع إلى قول يسوع المشهور: «**أريد رحمة لا ذبيحة**»، (متى 9: 13) لنرى بأن هذا الكلام يحمل دلالات خطيرة، تستهدف المساس بمؤسسة الكهنوت، التي ظلت قائمة على مر العصور في الذهنية التوراتية، كما أنه رسالة واضحة لتقويض

وإبطال طقس القربان التوراتي. فبظلم من اليهود، حملوا أوزاراً جزاء ما اقترفته أيديهم، أما العهد الجديد فهو عهد التخفيف والرحمة: «**تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني. لأني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف**» (متى 11-28).

هذا الرَّجَحان للأخلاق على الطقوس يتجلَّى، في أوضح صوره، في هزئه من طقوس الطهارة الشكلية التي تشكِّل لباب الشريعة القديمة: «**ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجِّسه. لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان [. . .]. لأنه من الداخل، من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة**» (مرقس 7: 15-23).

وبهذا الفتح الجديد يكمل يسوع المهمة الإلهية التي جاء من أجلها، وهي إصلاح الشعب اليهودي، والخروج به من براثن العصبية والعنصرية المقيتة، وبذلك يهيمن على رسالة موسى من قبله تصحيحاً وتقويماً. وعند ذلك لن يبقى للهيكل اليهودي مسوغاً، ولا للطقوس الشكلية أي معنى في عالم يسوع الرحيب. فعندما ثار الفريسيون لأنهم رأوا تلاميذ يسوع يأكلون بأيدٍ غير نظيفة قال لهم «**ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه. لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان**».

لقد كان بحق يسوع ملكاً، ولكن مملكته ليست أرضية، بل سماوية. ففي محاورته مع بيلاطس: «**ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود. أجابه يسوع أمن ذاتك**

تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني. أجابه بيلاطس ألعلي أنا يهودي. أمّتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي. ماذا فعلت أجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا. فقال له بيلاطس أنت إذاً ملك. أجاب يسوع أنت تقول إني ملك. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي» (يوحنا 81-33-37).

وهو المسيح، ولكنه ليس المسيح اليهودي، بل «**ابن الإنسان**» الذي افتتح ملكوت الخلاص والغفران، وسيظهر مرة أخرى في نهاية الأزمان، لا لتخليص شعب إسرائيل، بل للفصل النهائي بين الخير والشر: «**وأما يسوع فكان ساكتاً. فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت. وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء**»[1].

(1) المقالة السابقة.

المبحث الثاني
المسيح في الإسلام

كما تحدثنا سابقاً فسنتعامل خلال هذا المبحث، وفق ما سطرناه عند حديثنا عن كيفية تعاملنا مع القرآن الكريم. وذلك بالتفريق المنهجي الذي تفرضه الموضوعية العلمية مع مصادر كل دين على حدة. وهذا التفريق يعد ضرورياً ونحن نتناول قضية عقدية لها مكانتها في الفكر الديني الإسلامي. وذلك لنتمكن أساساً من التفريق بين رؤية مصدرين أساسيين في الدين الإسلامي أحدهما القرآن الكريم، وثانيهما ما يسمى بالسنة النبوية. وبلورة رأي نستشف من خلاله موقف الدين الإسلامي من الفكر المسيحاني الذي هو موضوع دراستنا.

*- المسيح في السنة النبوية

إن الدارس لكتب الحديث، لا يكاد يجد كتاباً إلا وقد تناول مسألة نزول عيسى ومجيئه آخر الزمان، بأوصاف محددة، وتحديدات دقيقة لهذا الرجوع. حتى عدت هذه الأحاديث من الأحاديث المتواترة التي تفيد العلم كما هو متعارف عليه في هذا الفن[1].

وإليك بعض هذه الأحاديث تجلي الأمر بوضوح:

---

(1) للشيخ الألباني حول هذا الموضوع بكتاب: **قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام**.

- ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم عيسى بن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**».

- روى أبو داود في سننه بسند صحيح من حديث أبي هريرة قال رسول الله عليه وسلم: «**ليس نبي بيني وبين عيسى بن مريم وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، إنه رجل مربوع ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالسمين ولا بالنحيف مائل إلى الحمرة والبياض كأن رأسه يقطر ماء من غير بلل**».

وفي رواية النواس بن سمعان في صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**ينزل عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين**» في الرواية الأولى التي ذكرت آنفاً «**بين ممصرتين**» أي ثوبين مصبوغين بصفرة خفيفة يسيرة «**واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفع رأسه تحدر منه جمان كحبات اللؤلؤ**».

- في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان وصحَّح السند الحافظ ابن حجر من حديث أبي هريرة أن رسول الله قال: «**فيهلك في زمان عيسى الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله المسيح الدجال، وتنزل الأمنة في الأرض حتى ترعى الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم**».

وفي رواية أبي أمامة وسندها صحيح قال المصطفى: «**فيكون الذئب مع الغنم كأنه كلبها ويمر الوليد على الأسد فلا يضره وتمر الوليدة على الحية فلا تضرها، رفع الظلم واستقر الأمن والأمان**

والرخاء وزادت البركة حتى تنزل الأمنة في الأرض».

وفي صحيح مسلم من رواية النواس بن سمعان قال: «**فيقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل (اللبن) حتى أن اللقحة (الوليدة التي وضعت ولدها) من الإبل لتكفي الفئام من الناس (الجماعة) واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفَخِذَ من الناس. . .**».

- روى الديلمي والضياء المقدسي وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث أبي هريرة أن النبي قال: «**طوبى لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات حتى إذا بذرت حبك على الصفا لنبت ولا تشاحن ولا تحاسد، ولا تباغض، حتى يمر الرجل على الأسد ولا يضره ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض**».

- وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم - صلى الله عليه وسلم - فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**».

- وروى الإمام أبو داود عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «**ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى -، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على**

الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون»[1].

وليس الغرض من إيراد هذه الأحاديث مدارستها لبيان صحيحها من سقيمها. فهذه القضية قد أعفانا مجموعة من الباحثين من التطرق إليها ولعل أهمهم الدكتور مصطفى بوهندي من خلال أطروحته الهامة **التأثير المسيحي في التفسير الإسلامي**[2]. ولكن إيرادها هنا كان من أجل معرفة مدى تأثير الفكر اليهودي والمسيحي في شأن المسيح المنتظر على العقلية الإسلامية. فصيغت الفكرة نفسها وحورت من أجل ملاءمة المناخ الإسلامي، كما حدث للفكر اليهودي عندما صاغ فكرة المخلص الزرادشتية وزاوجها بتطلعاته إلى ملك يعيد لإسرائيل مجدها.

*- المسيح في القرآن الكريم

درج مجموعة من الباحثين على أن القرآن، لم يكن منفصلاً تاريخياً ولا لاهوتياً عن باقي الديانات السابقة، بل هو امتداد طبيعي للكتاب المقدس في الكثير من القضايا، ولعل أهمها قضية المسيح.

---

(1) أضربنا صفحاً عن تخريج هذه الأحاديث والإشارة إلى مواضعها من كتبها لأنها لا تدخل في صميم البحث، وإن كانت تلامسه بدرجة من الدرجات، كما أن الهدف ليس هو بيان صحيحها من سقيمها.

(2) انظر ما كتبه مصطفى بوهندي في كتاب: **التأثير المسيحي في التفسير الإسلامي**، ص 204.

فالقرآن يقر بيسوع/ عيسى هو مسيح الله، بل يتعداه إلى الإقرار بطبيعته الإلهية «وروح منه». كما يقر بموت المسيح، ورفعه إلى السماء، ويجعله «وجيهاً في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين»، وهي نفسها صورة المسيح الجالس عن يمين الله. ويصر القرآن بنسب المسيح لـ عيسى، ويقابله لقب «ابن مريم»، ويسمو به إلى أقصى الدرجات[1].

وإليك بعض ما كتبه الباحث فراس السواح حول هذا الموضوع:

يُدعى يسوع في القرآن الكريم بالاسم عيسى. والكلمة، على ما نرجِّح، قد جاءت من الاسم التوراتي يِشو-وا، المختصرة عن يهو-شوا، وتعني «خلاص الرب». وقد جرى لفظ الاسم بالآرامية، التي كانت لغة فلسطين، بصيغة يشوع، التي تحوَّلت في الأناجيل اليونانية إلى إيسوس (Isous) أو إيسو، بحذف حرف السين الذي يلحق أسماء العَلَم الإغريقية. ومنها جاء الاسم «عيسى» في العربية والاسم (Jesus) في اللغات الأوروبية، الذي يضاف إليه عادة لقبُ المسيح (Christ)، فيقولون: (Jesus Christ)، أي «يسوع المسيح». وكلمة Christ في اللغات الأوروبية مأخوذة من الكلمة اليونانية (Χριστος)، خريستوس؛ وهي التي استخدمتْها الترجمة اليونانية للتوراة، المعروفة باسم «الترجمة السبعينية» (Septuagint)، كمقابل للكلمة العبرية مشيح.

يتصل لقبُ المسيح بعيسى عليه السلام في آيات الكتاب الكريم.

---

(1) راجع كتاب *Jésus dans la bible et le coran* لصاحبه Fadlallah ص 31، وغيرهم كثير.

فقد وَرَدَ الاسم عيسى مقروناً بالمسيح إحدى عشرة مرة، وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء 171). كما وردت الإشارة إلى عيسى باسمه المجرَّد، كقوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (آل عمران 55)، أو مضافاً إلى «ابن مريم»، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (البقرة 253). أو بـ «ابن مريم» فقط، كقوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف 57). وقد ناب لقبُ «المسيح» مرة واحدة عن الاسم، وذلك في الآية 172 من سورة النساء: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

لا تفيدنا آياتُ الكتاب في معرفة معنى كلمة «المسيح». وبما أننا لا نجد في العربية جذراً للكلمة سوى الفعل الثلاثي مسح الذي يفيد، كما في الآرامية والعبرية، معنى اللمس والتمسيد الرفيق بالكف، فقد ذَهَبَ معظم المفسِّرين إلى القول بأن لقب المسيح قد جاء من قيام عيسى بشفاء المرضى بلمسة يده. ولكننا نرجِّح أن يكون اللقب القرآني ذا صلة بالمعنى التوراتي والإنجيلي. فإذا كان المَسْحُ بالزيت دلالةً رمزيةً على مباركة الله للملك أو الكاهن أو النبي، فإن هذا المعنى متضمَّن في الآية الكريمة التي يقول عيسى فيها: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾ (مريم 30-31). وإذا كان المسْح بالزيت دلالة رمزية على اختيار الله للممسوح، وتفضيله واصطفائه على الناس طُراً، فإن هذا المعنى متضمَّن في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران 33). وإذا كان المسح أيضاً يدل على حلول روح الربِّ على

الممسوح ووقوفه إلى جانبه عبر مراحل حياته، فإن هذا المعنى متضمَّن في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (البقرة 253). وأيضاً: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (المائدة 110)[1].

*- تصحيح المفاهيم بالقرآن

نتفق كلياً مع الباحثين في أن الإسلام قد تعرض كما هو الشأن بالنسبة إلى باقي الديانات إلى مفاهيم مسيحانية، وذلك من خلال الروايات الحديثية المختلفة التي تحمل التفاصيل نفسها التي رأيناها في اليهودية والمسيحية. غير أننا نختلف معهم في كون القرآن كان مجرد ناقل لهذه المفاهيم دون تمحيص أو غربلة. فما هو إذن موقف القرآن من هذه المفاهيم؟ هذا ما سنتناوله من خلال النقاط الآتية:

أ- كلمة المسيح في القرآن

لا بد من الإشارة إلى شيء بالغ الأهمية قبل أن نخوض غمار هذا الموضوع. وهي مسألة لا تزال تطرح العديد من الإشكالات المنهجية في مدارسة النص القرآني. إنها إشكالية المصطلح في القرآن أو ما يسميه أبو القاسم الحاج حمد بـ «التوظيف القرآني للغة». وقد تحدثنا عنها سابقاً عند الحديث عن كيفية تعاملنا مع القرآن.

درج مجموعة من الباحثين على أن القرآن لم يتبن أي مفهوم لكلمة المسيح أثناء توظيفها، مما يوحي بأنه يتبنى الموقف نفسه التي

(1) مقالة فراس السواح: «المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن»: maaber.50megs.com/.../spiritual_traditions1.htm

تحمله هذه الكلمة في الثقافات السابقة، وبالتالي يكون القرآن مجرد مردد لأساطير التوراة والإنجيل دونما أي تمحيص لها تصحيحاً وتصويباً[1].

وردت كلمة المسيح في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وفي سياقات متعددة. وقد وظفت بمعاني شتى كانت تهدف إلى هدم الطرح التوراتي والإنجيلي المؤطر بالرؤية الزرادشتية من خلال فكرة المخلص.

فالمسيح هو عبد لله وليس ابنه، كما اعتقدت اليهود والنصارى في مسيحهم: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[2]. وليس ذو طبيعة خارقة تجعل منه الكائن الوحيد الذي يدين الناس ويجازيهم: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3]. ولن يملك لأحد الخلاص ولا الشفاعة لأن أمرهما بيد الله وحده: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾[4]. ولن يرجع آخر الزمان ليعيد مجد إسرائيل أو مجد غيرها لأن الله توفاه إليه، وحدد مراحل حياته في ثلاثة أطوار:

---

(1) راجع كتاب *Jésus dans la bible et le coran* لصاحبه Fadlallah ص 31.

(2) سورة النساء، الآية 172.

(3) سورة المائدة، الآية 75.

(4) سورة المائدة، الآية 17.

ولادة فموت ثم بعث. وهي المراحل التي سيمر منها كل إنسان على وجه هذه الأرض: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيًّا﴾[1].

هذا هو مجمل القول في شأن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كما أورده القرآن الكريم. فلم يبق معنى للقول أن القرآن الكريم قد سبب ضرراً كبيراً للمسلمين حين تبنى المفاهيم المسيحانية في شأن عيسى ابن مريم. فهذا الكلام كان يمكن أن يجد مسوغاً له لو تعاملنا مع القرآن بصيغة تجزيئية لا تنظر إلى البنية القرآنية باعتبارها وحدة موضوعية يجب عدم التعامل معها مفصولة عن سياقها العام. ولو اقتصر الأمر على الباحثين الغربيين وحدهم لكان هيناً على النفس تقبله، لكن وللأسف الشديد تجاوزه إلى علماء مسلمين سايروا الطرح التوراتي والإنجيلي في شأن المسيح المنتظر وألفوا كتباً في الانتصار إلى ذلك، وهذا أدهى وأمر[2].

ب- معنى «المسيح كلمة الله»

طرحت ولادة المسيح المعجزة مشاكل عديدة لعل أهمها قضية «الكلمة» التي ابتدأ بها يوحنا إنجيله: «**في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله**». فهل يتماشى هذا الطرح مع المفهوم القرآني للكلمة؟. ولماذا سمى الله المسيح «كلمة»؟.

---

(1) سورة مريم، الآية 33.

(2) للإمام الشوكاني رسالة في الموضوع: «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح»، وانظر أيضاً ما كتبه الشيخ الألباني حول هذا الموضوع بكتاب: **قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام**.

إن كل المخلوقات التي خلقها الله في الواقع هي عين كلمة الله الذي أنشأها بإرادته: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1]، هذه الكلمات ثابتة لا تعرف التبديل أو التحويل: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾[2].

وتخصيص السيد المسيح بـ «كلمة الله» في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[3]، كان من أجل أن خلق الناس يخضع لنظام معين في التطور، كان لزاماً أن يمر الكائن البشري من خلاله ليصل إلى عملية التزاوج الطبيعي، واستمرار النسل البشري.

وولادة المسيح اختلفت عن باقي الولادات البشرية، حيث تمت دون حاجة إلى زوج، الشيء الذي يؤدي بالضرورة إلى تمييزه عن سائر البشر: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

ج- معنى المسيح روح الله

إن التتبع لكلمة الروح في القرآن تفضي بنا إلى نتيجة مفادها أن الروح هو ملك كريم كلفه الله برسالاته والقيام بالوساطة الإلهية بين الله ورسله الكرام: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[5]. والملائكة لا تنزل إلى بالروح: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ

(1) سورة الكهف، الآية 109.
(2) سورة يونس، الآية 64.
(3) سورة آل عمران، الآية 45.
(4) سورة آل عمران، الآية 59.
(5) سورة البقرة، الآية 87.

أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾[1]. وهو خارج عن البنية الكونية لدى لا تعلم ماهيته أو خلقته: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[2]. وهو الذي كلفه الله بعملية النفخ في مريم عليها السلام: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾[3].

وهكذا فالروح في القرآن الكريم لا تعني ما ذهبت إليه بعض الدراسات الغربية أو العربية الإسلامية، بأنها هي نسمة الحياة الإلهية أو ما يفيد هذه المعاني[4].

---

(1) سورة النحل، الآية 2.

(2) سورة الإسراء، الآية 85.

(3) سورة مريم، الآية 17.

(4) انظر ما كتبه حول مصطلح الروح مصطفى بوهندي بـ: **التأثير المسيحي في التفسير الإسلامي**، ص: 145، والحاج حمد بـ: **العالمية الإسلامية الثانية**، 1/ 20.

المبحث الثالث
ولادة المسيح والاقتباسات التوراتية

1- نبوءة الميلاد العذراوي

يتحدث كاتب إنجيل متى عن نبوءة الميلاد العذراوي اعتماداً على ما ورد في العهد القديم في سفر إشعياء 7/ 14: «**ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**». وذلك ليثبت معجزة كانت في ذهنه أراد تمريرها، من خلال الاحتجاج والالتجاء إلى العهد القديم حتى تستساغ اللعبة. ولكن قبل الإتيان على ذلك لا بد لنا من مقدمة مهمة على طريق البحث في هذه المسألة:

- ظهرت أسطورة ميلاد الإله من عذراء قبل المسيحية بمئات السنين في كافة الحضارات والثقافات القديمة. وكانت سائدة ومقبولة في أزمنة كان العقل البشري مهيأ لتقبل مثل هذه الأشياء. يقول السيد القمني:

«أن السياسة الداخلية لحكام الأسرة الثامنة عشرة لم تستمر على نهجها الجديد، فعادت حمى الوراثة الملكية للظهور من جديد، وعادت المركزية وحق الحكم الإلهي، والوراثة المقدسة بالتناسل الإلهي. وحتى يتمكن هؤلاء الملوك من تدعيم سلطانهم وتوريثه، ونظراً لأنهم في حالات كثيرة لم يكونوا من سلالات ملكية الدم،

وإنما قيادات شعبية أو عسكرية انقلابية، فقد لجأوا إلى المنطق الأكثر فعالية مع الجماهير، أقصد الدين، فسارع كل منهم إلى تأكيد بنوته المباشرة للإله، بترويج رجال الدين لوحي يؤكد تجسد الإله كروح في جسد الملك الأب، أو مضاجعة الرب بذاته أم الملك، لإنجاب الذات الملكية القدسية، وأشهر ثمرات هذه المضاجعات الإلهية حتشبسوت وتحوتمس الثالث وتحوتمس الرابع وأمنحوتب الثالث»[1].

وفى سوريا القديمة نجد الإله آتيس هو ابن الإله من عذراء. يقول فراس السواح:

«بلغ من تشابه هذا الإله مع أدونيس أن القدماء كانوا في كثير من الأحيان يطلقون عليهما الاسمين تبادلياً. كان آتيس راعياً شاباً غض الإهاب، وكان محبوباً للأم الكبرى سيبيل أحياناً وابناً لها أحياناً أخرى. ويحكى عن مولده أن أمه «نانا» واسمها يذكرنا «أنانا» السومرية قد حملت به وهي عذراء. وذلك عن طريق احتضان غصن من شجرة اللوز أو الرمان، ولكن عنزة أرضعته حتى شب وكبر. ومن هنا جاء الاسم «آتيس» أي التيس»[2].

بعد أن أكدنا أن هذه التصورات هي سابقة على الفكر المسيحي بكثير، حملتها ثقافات متعددة، لتصل بها إلى كتاب الأناجيل ليملؤوها كتبهم، فيتكون منها ما يسمى بالعهد القديم. نرى بأن الميلاد العذراوي الذي تم بطريقة تخالف ناموس التناسل الطبيعي، لا تخرج

---

(1) راجع كتاب: **أوزيريس وعقيدة الخلود فى مصر القديمة**، لسيد القمني، ص 39، دار الفكر، ط 1.

(2) انظر كتاب: **مغامرة العقل الأولى**، فراس السواح، ص 332 ، ط 9 ، دار المنارة، سورية.

عن هذا السياق التاريخي المليء بالأساطير والخرافات، المنسجمة مع العقل الأسطوري الذي احتضن مثل هذه الأفكار.

فهل تمت بالفعل نبوءة في إشعياء تذكر ذلك حتى يجد متى مبرراً كافياً لاعتقادها بالميلاد العذراوي للمسيح، والذي يعتبر من أهم براهين المسيحية على لاهوت المسيح؟ هذا ما سنراه في ما يلي من تحليل:

يقول متى 1/ 18- 25: «أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: **هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل** الذي تفسيره الله معنا فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع».

هذه النبوءة مقتبسة من سفر إشعياء 7/ 14- 21 وهذا نصها: «**ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل** زبداً وعسلاً يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الأرض التي أنت خاش من ملكيها يجلب الرب عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك أياماً لم تأت منذ يوم اعتزال أفرايم عن يهوذا أي

ملك آشور ويكون في ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب الذي في أقصى ترع مصر وللنحل الذي في أرض آشور فتأتي وتحل جميعها في الأودية الخربة وفي شقوق الصخور وفي كل غاب الشوك وفي كل المراعي في ذلك اليوم يحلق السيد بموسى مستأجرة في عبر النهر بملك آشور الرأس وشعر الرجلين وتنزع اللحية أيضاً ويكون في ذلك اليوم أن الإنسان يربي عجلة بقر وشاتين».

***- دراسة نقدية**

كما سبق أن رأينا فمتى تحدث عن هذه النبوءة، في سياق حلم جاء ليوسف خطيب مريم عبر الملاك وطمأنه أن مريم ليست زانية وإنما الذي في بطنها من الروح القدس. ثم يورد نبؤة تتنبأ عن ذلك اقتباساً من سفر إشعياء دون الإشارة إليه. فكان متى بذلك يهيئ لنا الطريق إلى تقبل فكرة الميلاد العذراوي، لأنه نص قد تنبأ به أحد الأنبياء السابقين. فهل توفق متى يا ترى في هذا الاقتباس؟

هذا ما سنؤكده أو ننفيه بعد قليل:

يقول إشعياء 7/ 14: «**ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**...»

وهنا تبدأ المشاكل:

- إشعياء يقول إن تلك العذراء التى تحبل وتلد هي نفسها التي ستطلق اسم عمانوئيل على مولودها، بينما متى لم يكن أميناً في نقل الاقتباس فغير في النص وجعل من سيطلق اسم عمانوئيل على الطفل قوم من الناس (**ويدعون اسمه عمانوئيل**)، وليس أم الطفل كما جاء بالنص المقتبس منه.

- لم يذكر إشعياء في هذه الآية من المسؤول عن الحمل؟ لكن في الإصحاح التالي سنعرف من إشعياء نفسه من الذي جعل العذراء تحبل. كل ما اهتم به هو أن امرأة شابة ستحبل، ولم يذكر من سيكون سبباً في هذا الحمل؟. وهذا دليل على أنه لم يخطر بباله مطلقاً أي حمل معجز متجاوز لقانون الطبيعة، ويدل على أن الطفل القادم سيأتي مثل غيره من الأطفال عن طريق نظام االمزاوجة الطبيعي. أما متى فقال إن الروح القدس هو الذي حبل بالعذراء التي جاء منها الطفل، وهذا افتئات على نص إشعياء.

- إن الذي أسقط متى في هذا الخطأ هو الترجمة المغرضة لكلمة العذراء العبرية، وهي التي أوحت له بإمكانية انطلاء اللعبة على اليهود لتمرير مسيحه المنتظر بطريقة يقبلها الفكر اليهودي. فعندما اقتبس متى نص سفر إشعياء لم يقتبسه من النص العبرى الأصلي وإنما اقتبسه من الترجمة اليونانية للعهد القديم المعروفة باسم السبعينية (Septuagint).

فكانت الترجمة كما رأينا: «ها **العذراء** تحبل وتلد ابناً...».

والنص المقتبس عند متى لم يكن مقتبساً من النص الأصلي العبري. فهذا الأخير كان فعلاً يتحدث عن عذراء (Virgin) فتاة أو شابة لم تعرف رجلاً، وما زالت تحتفظ بغشاء بكارتها وتحبل بدون رجل؟.

والكلمة التي ترجمتها النسخة السبعينية ونقل عنها متى، كلمة «عذراء»، وباليونانية (Parthenos)، وهي بالعبرية **עלמה** . وتنطق: «علمه». وتعني معاني كثيرة وليس معنى محدداً من هذه المعاني:

امرأة شابة وامرأة حديثة الزواج، وفتاة وخادمة وعذراء. ومن

وسط المعاني الكثيرة للكلمة اختارت السبعينية كلمة عذراء «بارثينوس» (Parthenos) بصفتها ترجمة لهذه الكلمة وعنها نقل متى.

وبالرجوع إلى النص العبري نفسه نجد اليهود قد ترجموا كلمة (**עַלְמָה**)، بكلمة (شابة)، التي تعني امرأة شابة سواء كانت متزوجة أو عذراء لم تتزوج. وهذه هي الترجمة من الموقع اليهودي الذي يورد نصوص العهد القديم والتلمود[1]:

יד לָכֵן יִתֵּן אֲדֹנָי הוּא, לָכֶם--אוֹת: הִנֵּה הָעַלְמָה, הָרָה וְיֹלֶדֶת בֵּן, וְקָרָאת שְׁמוֹ, עִמָּנוּ אֵל.

وترجمه علماء اليهود إلى اللغة الإنجليزية هكذا:

Therefore the Lord Himself shall give you a sign: behold, **the young woman** shall conceive, and bear a son, and shall call his name Immanuel.

كما هو واضح من الترجمة الإنجليزية، فالآية تتكلم عن امرأة شابة **young woman**، وليس عن عذراء حصراً وتحديداً. ولقد وردت هذه الكلمة العبرية (علمه) سبع مرات في العهد القديم:

في التكوين 24: 4: «**بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحق**».

وفي الخروج (2: 8): «**فقالت لها ابنة فرعون اذهبي فذهبت الفتاة ودعت أم الولد**».

مزامير (68: 25): «**من قدام المغنون من وراء ضاربو الأوتار في الوسط فتيات ضاربات الدفوف**».

---

(1) www.mechon-mamre.org/p/pt/pt1007.htm

نشيد الإنشاد (3: 1): «**لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى**».

نشيد الإنشاد (6: 8): «**هن ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد**».

إشعياء (7: 14): «**ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**».

الأمثال (30: 18): «**طريق نسر في السماوات وطريق حية على صخر وطريق سفينة في قلب البحر وطريق رجل بفتاة**».

ويلاحظ أن الترجمة العربية ترجمت كلمة (علمه) بأكثر من معنى فترجموها بكلمات متعددة: زوجة وفتاة وعذراء.

وكما هو واضح فإن إشعياء كان يتكلم على امرأة شابة ستحبل وتلد ابناً، وليس في هذا أي شيء معجز أو خارق لطبيعة الحمل والولادة. أما متّى فقد اعتبر هذه العذراء أو المرأة الشابة هي مريم أم يسوع التي حبلت به من الروح القدس. فإذا رجعنا إلى نص إشعياء نجده يتحدث عن امرأة شابة ستلد ابناً وهي بنفسها ستسميه عمانوئيل.

إن هذا الصبي قبل أن يكبر ويصل إلى السن الذي يستطيع فيه أن يميز الخير والشر، ستخلى الأرض التي كان آحاز ملك يهوذا يخشى من ملكيها (ملك آرام وملك اسرائيل). كان هناك حروب بين ملك يهوذا آحاز من ناحية وملك إسرائيل وملك آرام (سوريا) متحدين من ناحية أخرى، وكان يهوه في صف آحاز فأراد أن يطمئنه أن النصر له وأن لا يبالي بأعدائه الملك الإسرائيلي والملك السوري اللذان اتحدا معاً ليحاربوا آحاز، ونظراً إلى حالة الخوف والذعر التي أصابت

مملكة يهوذا أرسل يهوه إشعياء لآحاز يتنبأ له بنبوءة وشيكة الوقوع، ستحدث قريباً جداً في حياته وها هي النبوءة وملابساتها بنص إشعياء (7/ 14-17):

«وحدث في أيام آحاز بن يوثام بن عزيا ملك يهوذا، أن رصين ملك آرام صعد مع فقح بن رمليا ملك إسرائيل، إلى أورشليم لمحاربتها. فلم يقدر أن يحاربها وأخبر بيت داود وقيل له قد حلت آرام في أفرايم فرجف قلبه، وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح، فقال الرب لإشعياء: اخرج لملاقاة آحاز أنت وشاریاشوب ابنك، إلى طرف قناة البركة العليا إلى سكة حقل القصار. وقل له احترز واهدأ لا تخف، ولا يضعف قلبك من أجل ذنبي. هاتين الشعلتين المدخنتين بحمو غضب رصين وأرام وابن رمليا لأن أرام تآمرت عليك بشر مع إفرايم وابن رمليا، قائلة: نصعد على يهوذا ونقوضها ونستفتحها لأنفسنا، ونملك في وسطها ملكاً ابن طبئيل. هكذا يقول السيد الرب: لا تقوم لا تكون لأن رأس أرام دمشق ورأس دمشق رصين. وفي مدة خمس وستين سنة، ينكسر أفرايم حتى لا يكون شعباً ورأس أفرايم السامرة ورأس السامرة ابن رمليا. إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلاً: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك عمق طلبك أو ارفعه إلى فوق. فقال آحاز: لا أطلب ولا أجرب الرب. فقال: اسمعوا يا بيت داود، هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهي أيضاً. ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل زبداً وعسلاً يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير، لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير،

تخلى الأرض التي أنت خاش من ملكيها. يجلب الرب عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك، أياماً لم تأت منذ يوم اعتزال أفرايم عن يهوذا أي ملك آشور»[1].

***- تعليقات على النص**

- أراد يهوه أن يعطى آحاز آية، أو علامة كما جاء في الترجمة الإنجليزية: Therefore the Lord himself shall give you **a sign**، عندما يراها يتأكد أن وعد يهوه بالنصر قريب، وسيكون هذا الإعلان بمثابة بداية انهيار المملكتين المتحدتين اللتان أرادتا بمملكة آحاز الشر والدمار.

- انتزع متى النص من سياقه الوارد في سفر إشعياء، وقرأه في سياق آخر لا علاقة له بالنص، إلا تأكيد الولادة العذراوية التي تأثر بها وأراد أن يحمل من خلالها رسالة إلى اليهود، بأن هذا المولود هو مسيحهم المنتظر. غير أن السياق يأبى إلا أن يرد عليه هذا التجاهل الخطير لسياق النص، الذي أكد بأن المولود من العذراء تلك الفتاة الشابة كما رأينا سابقاً، كان معاصراً لزمن آحاز، وكان مجرد علامة (Sign)، على انتصار يهوه على أعدائه.

فالآية كانت لآحاز الذي رفض بداية ليتنازل بعدها لإرادة يهوه. وتحققت في زمنه. وليست معجزة تأتي في زمان لاحق تتنبأ عن المسيح الموعود المولود بطريقة تخالف نواميس الطبيعة، كما رأينا آنفاً في الفكر الأسطوري الخرافي الذي ملأ خيال كاتب إنجيل متى.

---

(1) راجع دراسة مهمة للكاتب سواح على موقع اللادينيين: laddeni.net، بعنوان: «تلفيق النبوات 1». وانظر أيضاً كتاب: *Jesus*، ص 41.

- في سفر إشعياء: (8 / 3-4): «**فاقتربت إلى النبية فحبلت وولدت ابناً**. فقال لي الرب: ادع اسمه مهير شلال حاش بز. لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك آشور».

فهذا المقطع يعد تتميماً لما ورد في المقاطع السابقة من سفر إشعياء. وفيه يكشف عن حقيقة ما يمكن أن يلتبس على الباحث من قراءته إنجيل متى. فهنا يكشف إشعياء عن المقصود بالمولود في المقطع السابق: «ها العذراء تحبل وتلد ابناً». فيقول: إنه اقترب من امرأة أطلق عليها كلمة **النبية**، فحبلت وولدت ابناً وطلب منه الرب أن يسميه «**مهير شلال حاش بز**»، كما شرح معنى هذا الاسم، الذي ورد بدائرة المعارف الكتابية معناه: «**يعجل الغنيمة، يسرع النهب**»[1]. وهو المستفاد من النص نفسه: «لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي، **تُحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة** قدام ملك آشور» (إش 8: 3-4).

فاسم الطفل «يعجل الغنيمة، يسرع النهب»، يؤكد أن موعد اقتراب الوعد الذي أعلنه يهوه اقترب، وحان موعد سقوط المملكتين المعاديتين لملك آشور. وهذا الطفل الذي تحدث عنه إشعياء يحمل أوصاف ابنه نفسها المتحدث عنها في الإصحاح السابع، فقبل أن يعرف الخير أو الشر، أو بتعبير آخر لم يصل إلى سن يميز فيها بين الخبيث والطيب: «**لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي**». سيحل الخراب والدمار بما يتبعه من غنائم ونهب بالمملكتين

(1) انظر: **دائرة المعارف الكتابية**.

المعاديتين لآحاز الملك. وسقوطهما بعد مجيء ابن إشعياء تحت حكم الإمبراطورية الآشورية، التي تنهب ثرواتهما ويستريح آحاز من شرهما وحروبهما على مملكته.

- في سفر إشعياء 8/ 18: «**ها أنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب آيات وعجائب في إسرائيل**». هذا المقطع يؤكد من جديد بأن أبناء إشعياء كانوا عجائب وآيات في إسرائيل. وابنه السابق: «**مهير شلال حاش بز**»، ضمن هذا الإطار، إذ لم يستثنه المقطع، وبالتالي يكون هذا القول تفسيراً لما سبق وأن ذكرنا، من كون هذا الابن هو المتحدث عنه في النبوءة السابقة في الإصحاح السابع. ولن يصبح بعدها مبرر لمتى يمكن أن يتمسك بها، سوى أنه أراد أن يلفق نبوءة لإشعياء وابنه، ويوظفها توظيفاً مغرضاً من أجل تحقيق ما يصبو إليه.

- يتحدث متى عن أن المولود من العذراء سيكون اسمه عمانوئيل، اقتباساً أيضاً من سفر إشعياء 7/ 14: «**ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل**». لكن نص متى 1/ 23 يقول: «**هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا**».

ونص متى فيه اختلاف واضح، يتبين من خلال من سيطلق اسم عمانوئيل على الطفل.

فحسب إشعياء العذراء نفسها، هي من ستطلق هذا الاسم على ابنها «**وتدعو اسمه عمانوئيل**»، Therefore the Lord himself shall give you a sign; Behold, a virgin shall conceive, and bear a son, **and shall call his name Immanuel**.

أما عند متى فليست الأم من ستدعو الولد بعمانوئيل، وإنما أناس آخرون، كما يوضح الفعل المبني للمجهول: «**ويدعون اسمه عمانوئيل**»، Behold, a virgin shall be with child, and shall bring forth a son, **and they shall call his name Emmanuel**.

ورغم كل هذا فمتى ناقض نفسه في اسم هذا المولود، حيث ذكر أن اسمه يسوع وليس عمانوئيل، فعندما جاء الملاك ليوسف أمره أن يسمى الطفل يسوع: «**وتدعو اسمه يسوع** لأنه يخلص شعبه من خطاياهم»[1].

وليس هناك ما يفيد بأي شكل من الأشكال، أن اسم عمانوئيل قد أطلقه أحد على يسوع في الأناجيل القانونية، أو غير القانونية، وبالتالي تسقط دعوى متى، ونبوءته التي كان تأثير الفكر اليهودي واضحاً من خلالها، وذلك عبر الاقتباس من نصوص العهد القديم ونبوءاته، لتصبح مرنة في توجيهها إلى أغراض مسيحية بحتة.

2- نبوءة يسوع الناصري

يتابع كاتب إنجيل متى سيره وخطه التواصلي بين المسيحية واليهودية، عبر نبوءة أخرى سنضعها هي الأخرى قيد المدارسة، وهي نبوءة يسوع الناصري، أو بتعبير آخر: هل تنبأ العهد القديم بأن يسوع المسيح سيدعى ناصرياً كما يقول متى؟

لمعرفة حقيقة هذه النبوءة نأخذ النص الموجود بمتى2/ 19-23: «**فلما مات هيرودس، إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في**

(1) انظر: المقالة السابقة لسواح.

مصر قائلاً: قم وخذ الصبي وأمه. واذهب إلى أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي، فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل. ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية، عوضاً عن هيرودس أبيه، خاف أن يذهب إلى هناك. وإذ أوحي إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً».

ومن الغريب أن يتحدث متى بهذا الأسلوب التلفيقي البعيد عن حدود الموضوعية والحيادية في سرد الأحداث، وينقل نبوءة ليس لها وجود إلا في ذهنه. فليس هناك أي إشارة أو تلميح في جميع أسفار العهد القديم، أو أي نص سابق على المسيح وثني أو يهودي، أو التلمود تذكر مدينة الناصرة أو تذكر ما يفيد أن المسيح سيقطن بها أو سيسمى نسبة إليها[1].

فما الذي كان يهدف إليه متى من خلال هذه النبوءة؟ ألم يكن مطلعاً على نصوص العهد القديم بما يكفل له أن هذه النبوءة ليس لها وجود داخل هذه النصوص؟

هل ثمة تحريف معين لهذه النبوءة من جراء إسقاط متعمد أو غير متعمد لها من نصوص الكتاب المقدس؟ وإذا كان الأمر كذلك فهذا كفيل بوضع مصداقيتها وقانونيتها على مفترق الطرق؟

ليس هذا أو ذاك وإنما كان متى واضحاً من خلال رسائله

---

(1) *Jésus en son temps*, Daniel Rops, p 137 و *Jésus: anatomie d'un myth*, Patrick Boistier, p 41.

الملغومة، التي يهدف من ورائها إلى مخاطبة العقل اليهودي، ليمد من خلاله أواصر القرابة، ويقنع هذا العقل بأن المسيح يسوع هو مسيحهم المنتظر. ولن يتم هذا إلا من خلال قناة العهد القديم ونصوصه. فإذا ظهر السبب بطل العجب[1].

3- نبوءة موسى بالمسيح المنتظر

هناك نبوءة في العهد القديم تنبئ عن أن موسى قد أخبر عن نبي سيأتي من بعده وفق مواصفات معينة. هذه النبوءة التوراتية تلقفها الفكر المسيحي ليوظفها من جديد من خلال الأناجيل المعتمدة في الدفاع عن مسيحهم يسوع، مستخدمين الوسائل قريبها وبعيدها لإثبات صدق ما دافعوا عنه. فهل تم بالفعل التنبؤ بمسيح النصارى في نبوءة العهد القديم؟ وكيف استخدم كتاب الأناجيل هذه النبوءة؟ هذا ما سنكشف عنه من خلال الدراسة الآتية:

ففي إنجيل يوحنا 5/ 46: «**لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني**».

وفي أعمال الرسل 1/ 22-23: «فإن موسى قال للآباء: **إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به** ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب».

---

(1) أود الإشارة هنا إلى أن كمال الصليبي له موقف خاص من الناصرة في كتابه: **البحث عن يسوع، ويرى فيه أن يسوع قد انحدر من ناصرة الجليل الموجودة في الحجاز، وليس ناصرة جليل فلسطين. انظر ص 128. وللاطلاع أكثر على هذه المدينة، راجع:** *Nazareth en Galilée* in *Bible et Terre Sainte*, dir. René Lecomte, dossier Pierre Bockel, n° 110, 1969.

فكل من يوحنا ولوقا الذي تنسب إليه أعمال الرسل، حاول من خلال ما رأينا من نصوص، أن يطبقا هذه النبوءة التوراتية على يسوع المسيح. لكن لنتأكد من صدق هذه الدعوى أو بطلانها لا بد من الرجوع إلى النص المقتبسةِ منه هذه النبوءة.

ففي سفر التثنية 18/ 16-23 يقول النص: «**حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلموا أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه**».

وبالرجوع إلى النص الأصلي نجد أن موسى قد أبلغ قومه من بني إسرائيل أن الرب الإله اليهودي، سوف يقيم لهم نبياً من وسطهم ومن إخوتهم. هذا النبي مثله مثل موسى، وعليهم أن يسمعوا له، لأنه سيجعل كلامه أيضاً في فمه. فيكلمهم بكل ما يوصيه الله به، لذلك فإن من لا يسمع كلام هذا النبي، الذي هو كلام يهوه نفسه، فإن يهوه سوف يطالبه.

فإقامة الإله لهذا النبي جاءت بناء على طلبات اليهود ورغباتهم، فبني إسرائيل كما ينص النص اجتمعوا في حوريب، وهناك اتفقوا على أن لا يسمعوا كلام يهوه من فم يهوه مباشرة، وأن لا يروا النار العظيمة التي كانوا يرونها عندما يتجلى لهم يهوه. وسبب كل ذلك هو خوفهم من أن يموتوا من سماع صوت الإله ورؤية ناره. فكان الجواب الإلهي: «**قد أحسنوا في ما تكلموا**».

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فالنص وهو يحدثنا عن أوصاف

هذا الموعود به من طرف الرب، يخبرنا أن مكانة هذا النبي الذي سيقيمه يهوه لليهود لا تتجاوز مكانة موسى. فهو مثل موسى وسيقام من وسط اليهود، وسيكون أداة لتبليغ اليهود وصايا يهوه. فالنص يتحدث عن المثلية في كل شيء كما هو واضح.

فمن هو يا ترى هذا النبي الذي سيقيمه يهوه بهذه المواصفات؟ وهل تنطبق هذه الأوصاف على يسوع المسيح؟ هذا ما سنراه في ما يأتي.

في سفر العدد 27/ 12-23: «**وقال الرب لموسى اصعد إلى جبل عباريم هذا، وانظر الأرض التي أعطيت بني إسرائيل. ومتى نظرتها تضم إلى قومك أنت أيضاً، كما ضم هرون أخوك، لأنكما في برية صين، عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولي. إن تقدساني بالماء أمام أعينهم، ذلك ماء مريبة قادش في برية صين. فكلم موسى الرب قائلاً: ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة، يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم، لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها. فقال الرب لموسى: خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه، وأوقفه قدام ألعازار الكاهن، وقدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم، واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل. فيقف أمام ألعازار الكاهن فيسأل له بقضاء الأوريم أمام الرب، حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون. هو وكل بني إسرائيل معه. كل الجماعة ففعل موسى كما أمره الرب. أخذ يشوع وأوقفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة، ووضع يديه عليه وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى**».

وهكذا فموسى حسب هذا النص، يكلم الرب بشأن من سيوكله مسؤولية الجماعة، يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم. فكان جواب الرب واضحاً، أن هذا الرجل هو يشوع بن نون، الذي سيتسلم مسؤولية القيادة لشعب إسرائيل في كل أمورهم. وهذا ما حدث بالفعل زمان يشوع بن نون كما هو مثبت في السفر المنسوب إليه. ولنرى الآن هل نبوءة سفر التثنية تتماشى مع ما أكدناه سابقاً من كون الرجل الموعود به هو يشوع بن نون أم لا؟

تقول النبوءة في سفر التثنية 18/ 15: «**يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون**».

هذه الأوصاف تنطبق تمام الانطباق على يشوع بن نون الذي أقامه الرب يهوه نبياً من وسط إخوته. وهو مثل موسى، وله سمع اليهود كما جاء بسفر يشوع. بل هناك نص صريح يؤكد سماعَ بني إسرائيل ليشوع. ففي سفر التثنية 34/ 9: «**ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل، وعملوا كما أوصى الرب موسى**».

وهذا واقع شهد به سفر يشوع بشكل كبير، فهناك عدد من اليهود عاقبهم يهوه أو قتلهم، لأنهم خالفوا وصاياه التي تكلم بها على لسان يشوع، مثل ما جاء عن عخان بن كرمي وبنيه وبناته الذين قتلهم يشوع وأحرقهم بالنار لأنهم لم يسمعوا كلام يهوه. انظر الإصحاح السابع، وبالتالي تنطبق عليه الأوصاف الواردة في سفر التثنية: «**أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به**».

إذاً، وحسب المعطيات الواردة في سفر التثنية، وسفر يشوع

يتضح بأن النبي القادم، الذي سيتحمل مسؤولية الشعب اليهودي هو يشوع بن نون. فقد كان يشوع يشبه موسى في قيادة الشعب، وفي تبليغ وصايا وأوامر يهوه، وفي قسوته وشدته كما تروي نصوص العهد القديم. فكلاهما مثل شخصية القاتل السفاح، الذي يبيد قبائل وشعوباً إبادة جماعية برضا الرب المتعطش للدماء كما أو ضحت نصوص الكتاب المقدس.

وإذا كان هذا هو تقريرنا، فلماذا تجاهلت نصوص الإنجيل مثل هذه القضية؟ وكيف استغلها الكتبة لتحويلها إلى غير موضعها؟ وهل تنطبق هذه الأوصاف المشار إليها في سفر التثنية على يسوع المسيحية، كما أراد يوحنا ولوقا كاتب أعمال الرسل؟ هذا ما سنراه من خلال الكتب التي وظفت هذه النبوءة لصالح يسوع.

ففي إنجيل يوحنا 5/ 46: «**لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني**».

وفي أعمال الرسل 1/ 22-23: «**فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب**».

والناظر في سفر التثنية كما مر معنا يرى بأن الإعراض عن سماع كلام من سيكلفه الله مهمة موسى سيطالبه: «**يكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه**». بينما في سفر أعمال الرسل هناك تحميل للنص ما لا يحتمل، وذلك بأن الإعراض مآله الإبادة والموت الرهيب. فمن أين أتى كاتب النبوءة في أعمال الرسل بهذه الإضافة الخطيرة التي تخرج النص عن أهدافه ومراميه؟

فهل يسوع المسيحية الداعية إلى السلام هو من تنطبق عليه وصف الإجرام والإبادة؟ هذا محل نظر سيخبرنا به كتاب هذه الأناجيل أو من نقلوها عنهم. فموسى كان يخاطب الشعب اليهودي ويحدثهم عن خليفة له في زمنهم سيقودهم في مسؤولياتهم، ويخبرهم بأوامر ووصايا يهوه. يسمعون له ويأتمرون بكلامه. ومن لا يسمع سوف يطالب أو يعاقب ويقتل.

في الحقيقة لم تكن النبوءة المتحدث عنها سابقاً، تنطبق على يسوع بشكل من الأشكال إلا في ذهن من نقلها من سياقها، ليقرأها في سياقه المعبر عن عقلية الانتظار الضاربة في القدم، كما أوضحناه في محله من هذا البحث. فهذا الاقتباس لم يكن ليسعفهم من قريب أو من بعيد، لأن النصوص تأبى ذلك، والسياق يتحدث عن قوم قد عاصروا موسى، واحتاجوا إلى من يقودهم قيادته. فتمت نبوءة موسى باختيار الرجل المناسب الذي سيخلفه في هذه المهمة. فكيف يعقل أن يطلب موسى من قومه المعاصرين له، انتظار نبي يقودهم في الدخول إلى الأرض الموعودة، ويكلمهم بكلام الإله بعد مرور آلاف السنين لتصبح النبوءة باطلة لا معنى لها داخل هذا السياق؟

وحتى إذا سلمنا جدلاً أن النبوءة السابقة تستهدف المسيح يسوع، فإن هناك الكثير من الإشكالات ستعترض طريقنا، ولعل أهمها سؤال: كيف يوفق المسيحيون بين كون النبي الذي تحدث عنه موسى هو مثله بينما المسيح في العقيدة المسيحية هو الله نفسه؟ وكما رأينا سالفاً، فإن النبوة تركز على مسألة المثلية أو التماثل بين موسى ومن سيخلفه: «**أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به**». بينما المسيح في الفكر الديني المسيحي

يرتفع بيسوع إلى درجة الإله المتجسد في صورة البشر لتخليصهم من خطاياهم، وفدائهم بالموت على الصليب. وليس بين هذا وذاك أي تماثل سوى ما أراده كتاب هذه النبوءة.

وانطلاقاً من المعطيات السابقة نخلص إلى أن موسى تنبأ في زمنه لإخوانه من اليهود، أنه سيقيم لهم خليفة يقودهم ويبلغ الرب عبره وصاياه وأوامره. فاستجاب يهوه لطلبهم بإقامته يشوع بن نون وسطهم يتمم مسيرة موسى ويخلفه في وظيفته بعد الوفاة.

والمسيحية عبر كتبها، أرادت أن تلفق هذه النبوءة التي لا تنطبق بحال من الأحوال على يسوع المسيح، وتستغل فرصة الإيمان اليهودي بمسيح منتظر تقنع من خلاله اليهود المتمسحين بمسيحها المنتظر. ولو بالافتئات الرخيص على نصوص العهد القديم، والتطاول على سياقات النصوص[1].

4- نبوة يوحنا و المسيح المنتظر[2]

حقاً لقد شكلت ولادة المسيح يسوع مجالاً خصباً نبتت فيه كل الأفكار المؤمنة بالخلاص، والداعية إلى فكرة المسيح المنتظر بكل تشعباتها وتجلياتها. ولم تكن نصوص الإنجيل في الكثير من الأحيان إلا تعبيراً عن هذه الأماني المبثوثة في ثقافة ذلك العصر. والنبوءة التي

---

(1) انظر دراسة مهمة للكاتب سواح على موقع اللادينيين بعنوان: «تلفيق النبوات 2»: www.ladeeni.net

(2) وهو المعروف بيوحنا المعمدان (Jean Baptiste): ابن الكاهن زكريا وأليصابات، ولادته كانت بطريقة معجزة. انظر: ترجمته بـ *Dictionnaire de la bible*, p 214

سنخصها بالدراسة هذا الأوان تكرس ما نحن بصدد الحديث عنه. فهي تتحدث عن مجيء يسوع ورسوله يوحنا الذي يمهد الطريق له. وهي نبوءة كما تروي أحداث إنجيل مرقس مقتبسة من أسفار العهد القديم.

فهل توفق مرقس هذه المرة في تمرير نبوءته هذه المرة، أم يكون الفشل حليفه هو الآخر؟ هذا ما سنراه في محله. ففي إنجيل مرقس 1/ 1-2: «**بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله كما هو مكتوب في الأنبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك**».

فالنبوءة تتحدث كما هو واضح عن ما هو مكتوب عند الأنبياء السابقين من كون مجيء يسوع سيكون مقرونا بمجيء الملاك رسول الرب ليهيء الطريق أمامه. وستبين المقاطع التالية أن يوحنا هو الذي وقع عليه الاختيار لتجسيد هذه النبوءة 1/ 3-4: «**صوت صارخ في البرية أعدّوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة. كان يوحنا يعمد في** البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا».

وبالرجوع إلى النص الأصلي المقتبسة منه هذه النبوءة، وهو سفر ملاخي 3/ 1-5 نجده يقول: «**ها أنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله السيد، الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به. هوذا يأتي قال رب الجنود: ومن يحتمل يوم مجيئه، ومن يثبت عند ظهوره، لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار. فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة، فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة، ليكونوا مقربين للرب. تقدمة بالبر فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم، مرضية للرب كما في أيام القدم. وكما في السنين**

القديمة وأقترب إليكم للحكم، وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً، وعلى السالبين أجرة الأجير الأرملة واليتيم، ومن يصد الغريب ولا يخشاني قال رب الجنود».

***- تعليقات على النص**

- في نص سفر ملاخي نجد يهوه هو المتكلم حيث يقول إنه سيرسل ملاكه أو رسوله ليهيئ الطريق أمامه، وليس أمام يسوع أو غيره. فالنبوءة مرتبطة كما رأينا بالرب، ولاعلاقة لها بما أراد أن يمرر لنا مرقس الذي حولها إلى غير موضعها الطبيعي.

- سفر ملاخي يكشف عن اسم هذا الرسول خلافاً لما ذهب إليه مرقس في إنجيله فيقول 4/ 5: «**ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي** قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف». فحسب النص هو الذي يهيئ الطريق ليهوه. بينما إنجيل مرقس يعيد قراءة هذه النبوءة، ويصيغها صياغة أخرى تنحو بالنص الأصلي إلى غير مسراه، وتحرفه ليخدم أغراض موظفيه داخل هذا السياق المغاير.

- نبوة ملاخي لا تنطبق بحال من الأحوال على مواصفات يسوع. وهنا مكمن الإشكالية. فالمسيح يسوع كما تؤكد نصوص الإنجيل رسول رحمة جاء ليهدي السلام، وينشر مبادئ الرحمة بين الإنسانية جمعاء. فمجيء يسوع كان فاتحة خير كما يقول المسيحيون على هذا العالم المليء بالشرور، ويوم ولادته يوم حافل بالمسرات. فهو المخلص والمنقذ لهذه البشرية الغارقة في ضلال خطيئتها الأولى.

أما اليوم الذي تحدث عنه سفر ملاخي، فهو يوم رهيب بكل ما تحمله الكلمة من معنى. فشتان بين هذا وذاك. ولو تأمل مرقس قليلاً

لوجد أن الأمر مختلف تماماً. لكن فكرة المسيح المنتظر كانت توجهه بشكل من الأشكال نحو الدفاع عن مشروعه، ولو بتجاوز حدود المعطيات الكتابية نفسها، وهذا ما رأيناه في هذه النبوءة[1].

5- هيرودس وولادة المسيح

لا زال الخيال التوراتي يلقي بظلاله على كتاب الأناجيل، بمختلف مشاربهم الفكرية والعقدية. وهذه المرة مع استلهام آخر من هذا الخيال يوظفه متى كعادته، من خلال قصة استوحاها ليؤكد عبرها مشروعه في المسيح يسوع.

في إنجيل متى 3/ 1-13: «**ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟. فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له. فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه. فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح. فقالوا له في بيت لحم اليهودية. لأنه هكذا مكتوب بالنبي. وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا. لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل. حينئذ دعا هيرودس المجوس سرّاً وتحقق منهم زمان النجم الذي ظهر. ثم أرسلهم إلى بيت لحم وقال: اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي. ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له. فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق**

(1) المقالة السابقة لسواح.

يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي. فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً. وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه. فخروا وسجدوا له. ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومرّاً. ثم إذ أوحي اليهم في حلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس انصرفوا في طريق أخرى إلى كورته. وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك. لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه».

هذه الحكاية أخرى من نسج خيال متى رواها وحده، دون الالتفات إلى غيره من المصادر القانونية أو غير القانونية. فهذه الحادثة لم يذكرها أي شخص آخر غيره من ذلك الزمان. حتى فلافيوس يوسفوس الذي كتب تاريخ الشعب اليهودي بعد حوالي 100 عام من هذه الحادثة، لم يذكر حكاية قتل جميع أطفال بيت لحم وجوارها وذلك بالرغم من أن يوسفوس قد شتم هيرودس ونعته بأسوأ النعوت إلا أنه لم يذكر حكاية قتل الأطفال[1].

والمتتبع لقصة المسيح زمان هيرودس كما تحدث بها متى، يجد الحضور التوراتي منكشفاً، حيث تستلهم القصة مثيلتها في سفر الخروج زمان موسى وفرعون، مع شيء من التحوير في الأحداث والشخصيات. كما كانت القصة تهدف بشكل من الأشكال إلى إثبات النبوءة التوراتية بشأن المسيح المنتظر، من خلال مولد يسوع ببيت لحم: «**لأنه هكذا مكتوب بالنبي. وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا**

(1) هذه الإشارات وردت في كتاب: *Jésus: anatomie d'un myth*، ص 40.

لست الصغرى بين رؤساء يهوذا. لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل»[1].

فهذا الاقتباس كان هدفه إثبات أن المسيح يسوع هو من تنطبق عليه هذه النبوءة، في حين أن نبوءة ميخا 5/ 2 تقول: «أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل». فميخا يبشر بملك ينحدر من آل داود، ويكون أصله بيت لحم. بينما يسوع المسيح تتضارب أقوال الأناجيل في نسبته كما رأينا سابقاً، وحتى في مكان ولادته. وإن اتفقت على بيت لحم فمن أجل إثبات هذه النبوءة.

أما بخصوص سجود المجوس فقد أخبر به متى دون لوقا. وهو يوحي إلى تقليد لاتينيّ اعتبر المجوس ملوكاً، وذلك عبر ربطهم بالمزمور 72: 10: «ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية...». وعوض أن يحتل المسيح مكانة عند هيرودس ومن معه من سكان أورشليم، نجد الأمر يختلف تمام الاختلاف. فهو لا يعترف بأهمية المسيّا. ولا يلقي له بالاً، بل ينصب له فخّاً يحاول من خلاله إهلاكه كما قال متى.

أمّا موضوع النجم فهو أيضاً من القوالب الأدبية المعروفة في العالم الهلينيّ[2]. وقد كان مصير الأشخاص مرتبطاً به. وامتد هذا

---

(1) انظر المزيد حول غضب هيرودس، في كتاب: *Jésus en son temps*, p 133

(2) الهلينية بهذا اللفظ وضعه عالم التاريخ والجغرافيا J.G. Droysen في القرن 19. ويشير إلى الحضارة الممتدة بعد فتوحات ألكسندر الكبير المتوفى سنة 323 ق م. انظر *Dictionnaire de la bible*, matière Hellenisme p 214

التأثير إلى كتاب الأناجيل وقبلهم كتاب العهد القديم ليصبح النجم تعبيراً على ظهور الملك المسيا. ففي سفر العدد 24: 17: «أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً. يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب ويهلك كل بني الوغى».

والنجم عند متى ليس فقط صورة المسيّا، بل هو أيضاً علامة من الله هدفها قيادة المجوس إلى مكان ولادة يسوع. وقد كان الأقدمون يعتبرون الكواكب كائنات حيّة. فالوثنيون رأوا فيها آلهة واليهود المسيحيون ملائكة. ليس من فرق في الوظيفة بين النجم الذي يقود المجوس والملائكة الذين يقودون الرعاة في لوقا. فالكلام يشير، في كلا الحالين، إلى العناية الإلهية التي تقود البشر إلى ملاقاة خلاصهم.

وختاماً نخلص إلى أن متى وغيره ممن وظفوا هذه النبوءة، كانوا مسيرين وموجهين بأيديولوجية فكرة الانتظار، التي شابت كتبة الأناجيل في الكثير من رواياتهم. وهو وجه من وجوه التأثر والتأثير المسيحي اليهودي من خلال قصة الولادة.

خاتمة

بعد هذه الجولة العلمية في رحاب الكتاب المقدسة بتلاوينها المختلفة نخلص إلى النتائج الآتية:

- لم يكن الإنجيل الذي بين أيدينا هو كل ما كتب عن المسيح ونقل عنه. ففي عهود المسيحية الأولى، وبخاصة في القرنين الثاني والثالث، كان ثمة ما يربو على العشرين سفراً مختلفاً متداولاً بين المسيحيين الأوائل، ولكن الكنيسة هي التي أقرت في وقت لاحق الإنجيل المتداول حالياً وحرمت كل ما عداه. فمصداقيتها الوحيدة هي أن الكنيسة قد أقرتها.

- لم تكن رسالة المسيح واحدة، كما أن هدفها وتوجهها لم يكن واحداً. فكان البحث يهدف إلى الكشف عن المدى الذي أسهمت فيه الرؤية التبشيرية في ربط المسيحية بالتوراة أي باليهودية.

- كتبة الأناجيل كانوا بشراً بالدرجة الأولى ولم يكونوا معصومين عن النسيان أو الخلفيات الثقافية المتحيزة إلى أيديولوجية معينة. فقد كانت لكل منهم رؤيته الخاصة وإدراكه الخاص لظروف نشر الرسالة ومستلزمات هذه الظروف. ومن خلال اختلاف الرؤية، وقدرة الذاكرة واختلاف مرجعيات الموعوظين، وقع تباين في كتابة البشائر لا سبيل إلى إنكاره.

- إن الاستشهادات والإشارات التوراتية التي وردت في الأناجيل تمثل بالنسبة إلى المسيحية إرثاً تاريخياً لا علاقة له بالعقيدة المسيحية. فهذا الإرث يمثل مرحلة معينة من تاريخ المسيحية، وهي مرحلة التبشير الأولى التي بدت فيها المسيحية لبعض الشعب اليهودي ملبية لتطلعاته الدنيوية. فالمسيحية من وجهة النظر هذه لم تكن تحقيقاً لأي نبوءات توراتية سابقة، كانت في مجملها تتعلق بخلاص الشعب اليهودي من حكم الرومان على يد نبي من نسل داود، الأمر الذي لم يحدث في الواقع.

- قانونية الأناجيل المعتبرة في قصة ولادة المسيح تعود إلى الجهة المقننة، أي إلى المجامع المسكونية التي ارتبط ظهورها بظروف امتزجت فيها المسيحية بالفكر الوثني للإمبراطورية الرومانية، فكانت هذه المجامع نقطة تحول في التاريخ الديني المسيحي، حسمت الكثير من الاختلافات، وتبنت كل ما يدعم توجهاتها من الكتاب المقدس وكتابات الآباء، واستبعدت كل ما يخالف ما استقرت عليه من هذه المجامع. وعليه فإن قانونية هذه الأناجيل راجع إلى الجهة المقننة وهي المجامع المسكونية.

- المنهجية المتبعة في الدراسات القرآنية تستلهم كل أحداث ومستلزمات القصة الإنجيلية، لأن هذه القواعد والضوابط المعتمدة في مدارسة النص القرآني، هي نسبية بشرية ارتبط ظهورها بواقع فكري معين، كانت الرواية الحديثية جزءاً أساسياً منها. وهدفنا من هذا كله هو التعامل مع القرآن الكريم بمنظور إنساني يبدأ من الإنسان وينتهي إليه. فالقصص المطروحة للنقاش في هذا الكتاب هي قصص بالحق: «**واقصص القصص الحق**»، ليس هدفها هو إثبات تاريخيتها من

عدمها أو صدقها من بطلانها، بل يتجاوز الأمر كل هذا في اتجاه ينحو بالإنسان أن يتعامل مع القصص وما تطرحه من قضايا إنسانية تلامس جوانب تبدأ بالنفس الإنسانية وما تختزنه من مٰن أسرار، وتصل برحابتها إلى ما يعكس الواقع الإنساني وتجاربه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

المصادر والمراجع

المراجع بالعربية

- **الموسوعة اليهودية** لعبد الوهاب المسيري، www.4shared.com/zip/.../_____.htm
- **معجم المجمع الفاتيكاني الثاني**، وضعه ونسقه عبده خليفة، الخوري فرنسيس البسري، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1981.
- **المسيحية عبر العصور** لإيرل كيرنز، ترجمة عاطف سامي برنابا، دار نوبار للطباعة، 1992.
- **دائرة المعارف الكتابية**، المحرر المسؤول وليم هبة بيادي، ط2، دار الثقافة، 1996.
- **العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب والإنسان والطبيعة**، محمد أبو القاسم الحاج حمد، بيروت، دار ابن حزم 1996.
- **سر مريم أم المسيح**، حسني يوسف الأطير، مكتبة الزهراء للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 1994.
- **إسرائيل التوراة التاريخ التضليل**، سيد القمني، دار أنباء للطباعة والنشر، 1998.
- **المسيح في الكتاب المقدس**، هربرت لوكير، تعريب صبحي مقار، لجنة خلاص النفوس للنشر مصر، 1987.

- **بولس الرسول: حياته لاهوته أعماله**، الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، القاهرة، ط1، 1992.
- **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، لموريس بوكاي، بيروت، دار الكندي، 1978.
- **شبهات وهمية حول الكتاب المقدس**، القس منيس عبد النور، نسخة إلكترونية، Electronic christian library. www.defa3yat.com
- **التأثير المسيحي في التفسير الإسلامي**، مصطفى بوهندي، بيروت، دار الطليعة، 2004.
- **أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة**، سيد القمني، دار الفكر ط 1.
- **مغامرة العقل الأولى**، فراس السواح، ص 332، ط 9، دار المنارة سورية.
- **البحث عن يسوع**، كمال الصليبي، دار الشروق، ط1، 1999.

المراجع بالفرنسية

- *Dictionnaire culturel du christianisme*, Nicole Lemaitre, Marie-Thérèse Quinson, Véronique Sot, Cerf et Nathan, Paris, 1994.
- *Dictionnaire de la bible et des religions du livre*, Brepols, 1985.
- *Recherches comparées sur le christianisme primitif et l'islam premier*, Sarwat Anis Al-Assiouty, vol 1: Théorie des sources, évangiles et coran apocryphes, logia et hadiths forgés, Letouzey et Ané, Paris, 1987.
- *La bible éclaircie et ses apocryphes*, Ernest Paumen, Editions Louis Musin, Bruxelles, 1972.
- *Dictionnaire de l'histoire du christianisme*, préface de Jean Delumeau, encyclopaedia universalis, Albin Michel, 2000.

- *Nazareth en Galilée* in *Bible et terre sainte*, dir. René Lecomte, dossier Pierre Bockel, n° 110, 1969.
- *Jésus,* Jacques Duquesne, Flammarion, Paris,1994.
- *Histoire de Jésus ? Necessité et limites d'une enquête*, Etienne Nodet, préface d'Olivier Thomas Venard, Editions du Cerf, Paris, 2003.
- *Dictionnaire du judaisme*, Albin Michel, Paris, 1988.
- *Dictionnaire encyclopédique du judaisme*, sous la dir. de Geoffrey Wigoder, adapté en français sous la dir. de Sylvie Anne Goldberg, avec la collaboration de Véronique Gillet, Arnaud Sérandour et Gabriel Raphael Veyret, Laffont, Paris, 1996.
- *Jésus de Nazareth: Histoire de dieu, dieu de l'histoire*, Bruno Forte, trad. de l'italien par Benoît-Dominique Sébire, Editions du Cerf, Paris, 1984.
- *Messianisme et histoire juive*, Benjamine Gross, Berg International, 1994.
- *Dictionnaire des religions*, Jacques Vidal, Julien Ries, Edouard Cothenet, Yves Marchasson, Michel Delahoutre, Presses Universitaires de France, 1984.
- *Le messianisme comme utopie réaliste: défi ou dilemne maimonidien ?,* Shlomo Elbaz, le colloque de Cordoue : Ibn Rochd, Maimonide, Saint Thomas ou la filiation entre foi et raison, Edition Climats, association freudienne internationale, 1992.
- *Jésus dans la bible et le coran : le messie, le verbe de Dieu, Lettre à un ami*, Boutros Fadlallah, FX de Guibert, Paris, 1998.
- *Jésus : anatomie d'un myth*, Patrick Boistier, A l'Orient, Paris, 2000.
- *Jésus en son temps,* Daniel Rops, Fayard, Paris, 1994.
- *The New encyclopaedia Britannica*, Mortimer J. Adler, Frank B. Gibney, Jacques Barzun, Daniel J. Boorstin... [et al.], Chicago, The University of Chicago Press, 1985.

مقالات وكتب على شبكة الإنترنت

- «المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن»، فراس السواح:
maaber.50megs.com/.../spiritual_traditions1.htm
- «تلفيق النبوات 2 و1»، للكاتب سواح: /www.il7ad.com/smf/
index.php?topic=2217...En cache -
- «الغنوصية: الفكر والوحي» إدوارد مور، ترجمة أسماء جلال الدين،
إعداد دارين أحمد على الموقع: /www.maaber.org/issue.../
spiritual_traditions1a.ht...En cache
- «الترجمة العربية لإنجيل ولادة مريم»: http: //st-takla.org/Full-
Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-012-Father-Abdel-
Messih-Basiet-Abo-El-Kheir/010-Anageel-Al-Tofoola/New-
Testament-Apocrypha-I-56-Mary-Birth-Gospel.html
- «الترجمة العربية لإنجيل يعقوب»: /www.ebnmaryam.com/vb/
t186132.htm
- Protoévangile de Jacques: http: //catholicus.pagesperso-orange.fr/Apocryphes/Apocryphe5.html
- Livre de Nativité de Marie: http: //remacle.org/bloodwolf/apocryphes/marie.htm?

تعتبر قصة ولادة المسيح من المواضيع التي أسالت مداد الكثير من الباحثين حولها، على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، لما لهذه القصة من أثر عميق في توجيه الفكر الديني عموماً، والمسيحي منه على وجه الخصوص. وهذا التباين في وجهات النظر المختلفة حول كل مجريات ومستلزمات هذه القصة، كان راجعاً بالأساس إلى إشكالية تعدد المصادر التي استقى منها الفكر المسيحي تصوراته وبنائه العقدي والفكري، الشيء الذي يعتبر ضرورياً من الناحية المنهجية ونحن نتناول قضية لها وزنها في الفكر الديني عموماً. ولها أيضاً تبعات خطيرة تتجاوز في مداها البعد الديني إلى آفاق السياسة والاجتماع، وغير ذلك من المجالات.

إن الذين اعتنقوا المسيحية وبشروا بها في كتاباتهم كانوا من أصول وثقافات متعددة. وكل واحد منهم يحمل في طياته أفكاراً وتصورات تنبئ عن المرجعيات المتعددة التي ينطلق منها كل واحد، وتبرز التثاقف الحاصل بين الأديان والحضارات والعقائد.

إن أهمية الموضوع الذي نحن بصدد مقاربته الآن، تنبع من أهمية الكتب المقدسة نفسها. فلقد شكلت هذه الكتب والوثائق التاريخية على مر العصور إحدى المحددات الأساسية، والموجهات المركزية للعقل المتدين بشكل عام في كل زمان أو مكان. كما تنبع أهميته أيضاً من الواقع المعاصر بكل تشكيلاته وتعقيداته.

يوسف هريمة

أستاذ باحث من المغرب متخصص في الفكر الإسلامي

ISBN 978-9953-68-669-1

9 789953 686691

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
مؤسسة دراسات وأبحاث

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com